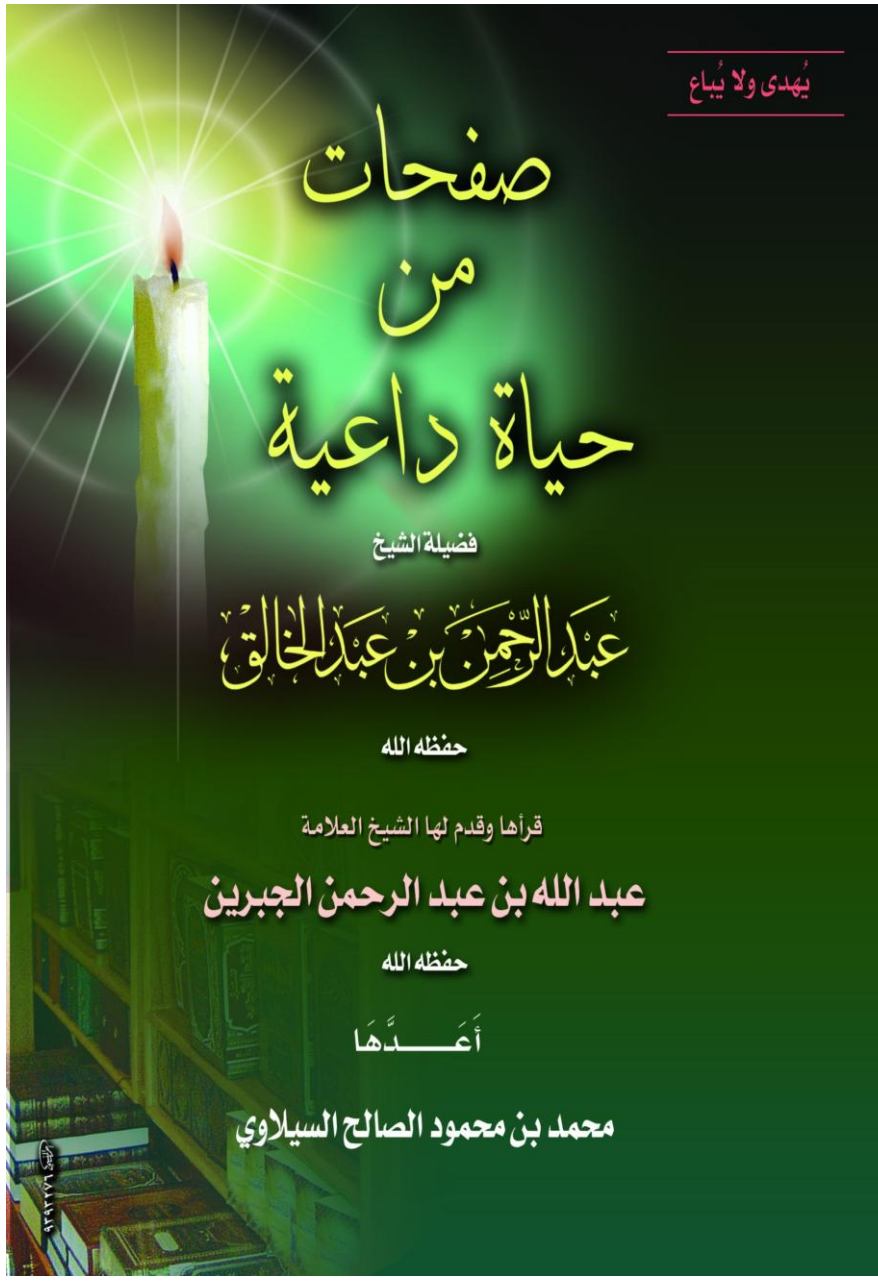

ومعه ملحق من كتاب (صفحات من حياتي)

للشيخ عمر الأشقر مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً

مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(فصلت: 33)

صفحات

من حياة داعية

فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن عبد الخالق

حفظه الله

تقديم العلاّمة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

أعدّها

محمد بن محمود الصالح السيلاوي

الطبعة الأولى

1427هـ - 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

إلى شيخنا وأستاذنا

فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن عبد الخالق

حفظه الله

الذي تفضل بتصحيح الكتاب قراءة عليه

وإلى كل من ساهم بإخراج هذا الكتاب

سائلًا الله عز وجل أن يكون ذلك في ميزان حسناتهم

يوم لا ينفع مال ولا بنون

إلا من أتى الله بقلب سليم

تقديم الشيخ /

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فسوى ووالذي قدر فهدى وأسعد وأشقى وأبعد وأدنى أحمده سبحانه وأشكره على جلوله وعظيم آلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأولى وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى صلوات الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه على السنة والهدى، أما بعد فقد قرأت لهذه السيرة الذاتية التي كتبها الشيخ العالم الفاضل عبد الرحمن بن عبد الخالق وقد سرني وأعجبني ما كتبه عن نفسه من مبدأ نشأته ودراسته في مراحل الدراسة ومشايخه في المدينة النبوية وما قام به من الدعوة إلى دين الله تعالى وأسفاره ورحلاته الكثيرة والبعيدة من أجل الدعوة وكيف نفع الله تعالى به لدى استمراره في دولة الكويت وما أفاده وانتفع الله تعالى به كثيراً وغيرهم وما ذكره عن مناقشته لمن خطأه وضلله وحذر ذلك بأسلوب واضح يقتنع من تصفحه الإنصاف وطالب الحق والصواب مع الحرص بالتقرب والتصدر وأن الطالب عبده كالإخوة والأصدقاء دون الترفع عليهم وكل ذلك مما يدل على التفوق والإنصاف فقد استهر هذا الشيخ في الكويت وأثنى عليه من لقيناه من تلاميذه هنا وعرفنا منه العلم والعمل وإن لم يكن لي شرف اللقاء به لشهرته وكتبه تدل على علم كبير متواضع رفيع النفس بعيد عن الشبهات مع التمسك بالسنة والعقيدة السلفية ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياه لما فيه الخير والصلاح وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٤٢٦/١٢/٤هـ

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

مقدمة الشيخ ابن جبرين

- حفظه الله -

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وأسعد وأشقى، وأبعد وأدنى، أحمده سبحانه وأشكره على حلو النعم ومرّ البلوى، وأشهد أ ن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه على السنة والهدى.

أما بعد؛

فقد قرأت هذه السيرة الذاتية التي كتبها الشيخ العالم الفاضل عبدالرحمن بن عبدالخالق، وقد سرّني وأفرحني ما كتبه عن نفسه من مبدأ نشأته، ودراسته في مراحل الدّراسة، ومشايخه في المدينة النبوية، وما قام به من الدّعوة إلى دين الله تعالى، وأسفاره ورحلاته القريبة والبعيدة من أجل الدّعوة، وكيف نفع الله تعالى بذلك، ثم استقراره في دولة الكويت، وما أفاده ونفع الله تعالى بتدريسه وخطبه ومؤلفاته، وما ذكره من

مناقشته لمن خطّأه وضلّله، ونحو ذلك بأسلوب واضح يقنع من قصده الإنصاف وطلب الحق والصواب، مع اعترافه بالنقص والقصور، وأن الطلاب عنده كالإخوة والأصدقاء دون الترفّع عليهم، وكل ذلك مما يدل على الفضل والإنصاف، فقد اشتهر هذا الشيخ في الكويت وأثنى عليه من لقيناه من تلاميذه هناك، وعرفنا عنه العلم والعمل، وإن لم يكن لي شرف اللّقاء بجنابه، فشهرته وكتبه تدل على عالم كبير متواضع، رفيع النفس، بعيد عن الشبهات، مع التمسّك بالسّنة والعقيدة السّلفية.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياه لما فيه الخير والصلاح، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

1426/10/24هـ

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أما بعد؛

فهذا الكتاب نقدّمه إلى إخواننا من طلبة العلم الشرعي والدعاة إلى الله تعالى والقائمين بأمر دينه تبارك وتعالى، ليكون لهم تبصرة وذكرى في طريقهم إلى الله؛ وهو مسيرة جيل من الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والتي لا تزال بفضل الله تؤتي ثمارها، وهي بحق كما قال عنها الشيخ – حفظه الله – : " **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ".

نقدّم هذه الصفحات من سيرة الشّيخ – حفظه الله – ودعوته إلى الله لتكوَن مصباحاً يضيء بنوره الطريق للدّعاة، وشعاعاً يبعث الأمل في نفوس السائرين إلى الله، فهي حصيلة من الجدّ والاجتهاد في نشر الدّين القويم، وخدمة الإسلام الحنيف، وفيها ذبٌّ عن حياض المسلمين، وبالأخصِ أهل السُّنَّة والجماعة، وردٌّ لمن حاد عن الصراط المستقيم إلى

رشده وصوابه، وتَقْويمٌ للخارجين عنِ السُّنَّة باسم السُّنَّة، وبعثٌ لروح العاملين للإسلام أن لا يكلُّوا ولا ييأسوا.

فهي سيرة تقتفي في أحداثها وصفحاتها الفهم السليم لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -، شعارها: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.

وخِتاماً؛ فإن مادَة هذا الكتاب قد تم جمعها وتهذيبها ثم تبويبها من ثلاثة أشرطة صوتية كان الأخ الكريم خالد الخراز- وفقه الله - قد سجَّلها مع الشيخ - حفظه الله - في عام 1416هـ - 1996م، على طريقة السؤال والحوار.

وقد أضيف إلى هذه الصفحات المباركة بعض الموضوعات من موقع الشبكة السلفية على (الإنترنت) وهو:

www.salafi.net

كما قامت قناة (المجد) الفضائية بإجراء مقابلة مع الشيخ - حفظه الله - في عام 1426هـ، وهي موجودة في موقع القناة أيضا على الشبكة العنكبوتية:

www.almajdtv.com

وكذا حوار كانت قد أجرته مجلة (السُّمو) عام 1424هـ في العدد التاسع عشر، ويمكن مراجعته على موقع المجلة:

www.alsomo.com

سائلا الله العلي القدير أن ينفع بالشيخ في علمه، ويبارك له في عمله، وأن يتقبل منه دعوته وجهاده في سبيل نشر هذا الدين، كما أسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذه الصفحات الطّيبة المباركة كل من قرأها أو قدّم فيها خيراً وساهم على إخراجها.

والحمد لله رب العالمين

وصلى‌الله وسلم على عبده ورسوله

وعلى آله وأصحابه أجمعين

وكتبه

محمد بن محمود الصالح السيلاوي

الحادي عشر من شوال 1426هـ

الموافق 13 نوفمبر 2005 م

تمهيـــــــد

إن التعـرف علـى المـتكلم والمتصـدي للـدعوة أمـر مطلـوب، لأن الدعوة ترتبط بشخصية الداعي، ومن أجل ذلك كان الرسل وأصحاب الرسل يعرفون وتَعرفُ أصولهم ونشأتهم.

وقـد حـرص الصـحابة – ﷺ – علـى معرفـة نسـب كـل صـحابي وتدوينـه، والمواقـف التي كانـت لكـل منهم في الإسـلام، فكـان يفـرَّق بـين البـدريين وغـيرهم، وينـزَّل النَّـاس منـازلهم في الـدعوة وفي العمـل وفي الجهاد، فإن إنزال الناس منازلهم من الدين.

ومـن حـق طـلاب العلـم أن يعـرف بعضـهم بعضـا، ويـرتبط كـل قـول بصاحبه، وما نشأته، وبالتّالي يمكن أن يُحكم على شخصه ودعوته.

المولـــــد والنســـب

عبد الرحمن بن عبد الخالق بن السيد يوسف.

ولدت في مصر 25 رجب 1358هـ الموافق 1939/9/9م في قرية (عرب الرمل) من قرى محافظة (المنوفية).

وترجع جذورنا إلى قبيلة (آل زهير) باليمن، وقد هاجر أجدادي إلى مصر واستوطنوا فيها.

النشـــأة والتعليـــم

كان أول تعليمي في (الكُتّاب)، وهو غرفة صغيرة يقوم فيها الشّيخ بتحفيظ القرآن، فحفظت شيئا من القرآن وعمري ثلاث سنوات، ثم التحقت بالمدارس الابتدائية ثم الثانوية.

هاجرت إلى المدينة المنورة بعد هجرة والدي، وحصلت على الثانوية العامة من ثانوية طيبة بالمدينة المنورة، وعملت مدرساً لمدّة أربع سنوات في مدارس المدينـة، ثم التحقت بالجامعة الإسلامية، وأنهيت دراستي الجامعية في سنة 1385هـ الموافق 1965م، بعدها أتيت إلى الكويت، وعملت فيها مدرساً إلى أن غُزيت بقوَّات صدَّام حسين في عام 1990م .

وقد هاجر والدي عبد الخالق وأعمامي – الشيخ عبد المعطي والشيخ مُحَمَّد ويوسف – ووالدتهم إلى الحجاز في سـنـة 1928م، تقريبا في عام 1346هـ، بعد أن دخلت الحجاز في حكم الملك عبدالعزيز آل سعود، وأصبحت دولة قائمة على الإسلام، فرأى الوالـد وإخوانه أنه لا يجوز لهم البقاء في مصر؛ لأنها تحكم بغير شريعة الإسلام، فها جـروا إلى المدينة ومكثوا فيها، إلا أن الوالد بعد سنوات من الهجرة اضطر للعودة إلى مصر لبيع بعض أملاكه وإنجاز بعض الأعمال.

وعندما هم بالعودة إلى المدينة منعه أهل زوجته – وهي والدتي – من أن يخرج بها مرة ثانية ويهاجر بها، فاضطر إلى البقاء مدة.

ثم علم بوقوع الثورة للفلسطينيين ضد اليهود في عام 1355هـ الموافق 1936م، فارتحل إلى فلسطين ليشارك في الثورة، ومكث ثلاث سنوات يقاتل مع المجاهدين الفلسطينيين إلى أنْ قبض عليه الإنجليز وأعادوه إلى مصر.

ثم مكث في مصر وكان همه الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، وعاش حياته على هذا الأمل، وهو أن الجهاد من أعظم أعمال الإسلام، ولا بد أن يكرس نفسه له، ولأجل هذا أحبَّ والدي الأستاذ حسن البنَّا – رحمه الله – ورافقه.

ثم اشترك في حرب فلسطين عام 1367هـ الموافق 1948م هو وأخي الأكبر محمد.

وأخيراً؛ بعد أن ضربت دعوة الإخوان في سنة 1954م هاجر مرة ثانية وعاد إلى المدينة ليلتحق بإخوانه، فذهبنا نحن والتحقنا بالوالد وعشنا بالمدينة النبوية.

لما هاجر الوالد الهجرة الأولى لم أكن مولوداً؛ لأن هذا كان سنة 1928م وقد ولدت في أواخر سنة 1939م، أما في الهجرة الثانية سنة 1955م فقد كان عمري نحو سبع عشرة سنة.

حفظ القرآن في (الكُتّاب)

بدأت حفظ القرآن الكريم في السنة الثالثة من عمري، وإنّ أعظم طريقة في حفظ القرآن هو نظام (الكتاتيب)، الذي فيه أستاذٌ لا هم له إلا تحفيظ القرآن.

وكُنا نَحفَظ القرآن بطريقة كتابة المقرر أو الذي نسميه (اللوح)، حيث نأخذ بالحبر فنكتب، وننقل من المصحف الجزء المراد حفظه، كسورة (قل أعوذ برب الناس)، ثم نصححها على الأستاذ أو المعلّم وكنا نسميه (بسيدنا)، فنقرأ عليه المقرر ونصححه، ثم يطلب منا الذهاب إلى (المحفّظة)، فنحفظ على طريقة الترديد، ثم نعود إلى (سيدنا) فنسمع عليَه، وإذا كان هناك أي خطأ في التسميع فإنه يرجعنا ويقول لا بد من إعادته، حتى نحفظه حفظاً تاماً، ثم نأتي ونسمعه للشيخ فيقره وقد حفظناه حفظاً جيداً، فيقول: امحِ (اللوح) واكتب لوحاً جديداً، فنكتب وننقل سورةً جديدة أو مقرراً جديداً، وبعد ذلك نبدأ بقراءته عليه، ونسميه (التّصحيح) فنصحح النُّطق به، ثم نعود لحفظه وهكذا، ثم نراجع (الماضي) ونسميه مراجعة للماضي، وكلما قطعنا جزءاً أو نحوه نأتي للشيخ فيقول: إقرأ (الماضي)، فنقرأ ما مضى مما كنا قد حفظناه من القرآن.

قد حفظت بهذه الطريقة – بفضل الله – جانباً من القرآن في

الصغر، ولكن للأسف أنَّ التعليم في المدارس الثانوية مشغلة، وذلك للعلوم الكثيرة التي تُحشر في الذهن وتنافس القرآن، إلا أني كنت أنتهز الفرص، فكان والدي يعطيني لبعض المشايخ في الإجازة الصيفية لحفظ ما يمكن حفظه من القرآن.

ومما ساعد على حفظي أن والدي يحفظ القرآن – وجميع أعمامي والحمد لله، فنحن من أسرة تعتني بالقرآن – فعندما أكون مع الوالد أسمع له، ونحن خارجون إلى الحقل، أو ذاهبون هنا أو هناك، وهكذا على هذه الطريقة.

ثم اعتمدت بعدالله على نفسي بعدما دخلت في المدارس الثانوية، وانشغلت بالعمل وبالجامعة، وللأسف أني لم أستكمل حفظ القرآن كله إلا بعد أن أنهيت الدّراسة الجامعية في المدينة النبوية.

الضرب بالعصا في التحفيظ

لما دخلت للكتّاب وفقنيالله تعالى إلى أحد المحفّظين الجيدين، والذي لا أذكر أنه ضربني، وهو شيخنا الشيخ (تهامي).

ثم انتقلت وتعلمت على شيخ اسمه الشيخ (عطوة)، وهذا الشيخ تعلم على يديه 90٪ تقريباً من الذين يحفظون القرآن في القرية، وهم يقدّرون لا أقول بالعشرات بل بالمئات أو بالألوف، ومع ذلك لم يكن يستخدم الضرب بالعصا في التحفيظ.

الذي أراه أن استخدام العصا شيء سيئ؛ حيث ذهبت في فترة من الفترات إلى شيخ آخر يُحفّظ القرآن، وكان يأتيني إلى البيت، وأذكر أنه ضربني ليس على حفظ القرآن، وإنما لأنني ذهبت لألعب وتأخرت إلى غروب الشمس، والعادة أنّ موعده بعد العصر.

وكنت صغيراً لا أعرف متى يبدأ وقت العصر، حتى قلت لبعض أقراني: عندي بعد العصر (سيدنا) يأتيني ليعلّمني القرآن، فقالوا لي: "إسّه العصر ما جاء"، حتى قربت الشمس من الغروب.

فلما رجعت عند الغروب كانت الوالدة مشغولة علي، فأوعزت إلى الشيخ أن يضربني على هذا التأخير، فلما جلست قال لي: "سمّع"، فبدأت بالتسميع فانتهرني عند أول غلطة، وأخرج العصا من تحت الحصير التي كان جالساً عليها وبدأ بضربي، وبعدها ما استطعت أن

أحفظ عنده ولا استطعت أن أجلس له بتاتاً.

قد يفيد الضرب إذا جاء في موضعه، وليس مع كل الناس، وقد مارست التعليم مدة طويلة فوجدت أن الضرب في غير موضعه سيء، وربما يكون له آثار سيئة في أخلاق الأبناء والطلاب وفي سلوكهم، وفي كراهيتهم للعلم الذي يتوجهون إليه، سواء كان قراءة قرآن أو غيره.

قواعد في حفظ القرآن

كنت أحفظ في المدينة كلَّ أسبوع جزءاً من القرآن، بحيث أحفظ في كل يوم ربع حزب، فالجزء حزبين، وكل حزب مقَسَّم إلى أربعة، وفي آخر الأسبوع أكمل الجزء، ولم يكن لي وقت معيَّن، فكنت أجلس بعد الفجر أقرأ مرتين وثلاثة وأحفظه.

وكان لدي – بفضل الله – حافظة قوية بحيث كنت أحياناً أقرأ شيئاً من القرآن مرَّة واحدة فأحفظه، بل كنت في المدرسة الثانوية أسمع قصيدةً شعرية لا أحفظها، فإذا جاء المدرس وقال: "فليسمع الحافظ" وأكون الثاني فليست هناك مشكلة لأني قد حفظتها من الأول، ولكن المشكلة إذا طالبني أولاً بالتسميع ولا أكون حافظا، ولا سمعتها من طالب قبلي.

فكنت أحفظ بعد الفجر ثم أقرأ نفس الجزء الذي حفظته في النوافل، وفي أوقات الفراغ، ولم أكن أخصص وقتاً أسمّيه وقت حفظ القرآن، بل أقرأه في دراستي العادية، سواء كنت في الجامعَة أو في الثانوية أو في غيرها... و في أثناء ركوب السيارة، وعندما أنتظر أحد الأخوة، وفي أي وقت فراغ أراجع ما كنت حفظته في الصباح.

و قد كتبت قواعد حفظ القرآن في رسالة صغيرة سميتها (القواعد الذهبية لحفظ كتاب الله) وهي مطبوعة – والحمد لله –.

حب القراءة وسعة الاطلاع

حبب إليَّ ربِّي القراءة منذ الصغر، وكنت أقرأ في مجال قد يكون أكبر من سنِي، ففي المدرسة الثانوية كانت مادة الفلسفة مادة عقائدية، وهي تقوم على الكفر، لكني شغفت بدراستها حتى أن أستاذ الفلسفة كان يجعلني الطالب الأول، فقرأت كثيراً مما كتبه أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا والغزالي، وهذه الخلفيَّة أفادتني في طريقة الردّ عليها بعد أن توسعت – وبحمدالله– في فهم العقيدة السلفية.

وفي فترة الأربع سنوات التي كنت فيها مدرساً بعد الثانوية العامة اعتكفت في مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت) في المدينة المنورة، وكان فيها أكثر من ثمانية آلاف مخطوط، وأذكر أنِّي كنت أدخلها وحدي، وكان لا يرِد لهذه المكتبة أحد إلا الأفراد من الناس، وربما لا يوجد فيها رفٌّ من رفوف كتبها إلا وقرأت فيها كتاباً أو كتابين أو ثلاثة، حتى كتب الشعوذة.

وكان فيها رفّان عليهما كتب الشعوذة مفتاحهما مع أمين المكتبة، فقرأت شيئا من الشعوذة من باب معرفة الشيء ولا الجهل به، وكنت أظن أن هذا الحديث صحيح: "**تعلّموا السحر ولا تعملوا به**"، وكنت أرجئ هذا الرف وأحجم عنه، ثم قلت: إذا كان الرسول – صلىالله عليه عليه وسلم – يقول: "**تعلموا السحر ولا تعملوا به**"؛ والحديث صحيح، فلم لا أقرأ فيها؟، فقرأت كتاباً أو كتابين، وتعرَّفت على بعض ما كتب

في هذا من باب العلم بالشيء وليس من باب الاهتداء به.

كما حبّب إليَّ دراسةَ الأدب، فقرأت كثيراً في الأدب الروسي والأدب الأمريكي والقصص والروايات الكثيرة.

واستمرت صلتي بقراءة الفكر المخالف في المذاهب الهدامة، فقرأت عن الشيوعية والوجودية على الأقل كتابا أو كتابين أو ثلاثة لأربابها الأساسيين وأساطينها.

كنت أقرأ بنهم، ليس لأني أجد وقت فراغٍ لأقرأ، بل كنت أقرأ في كل وقت، وبالرغم من أن أكثر الذي قرأته ذلك الوقت غثّ، ولا شيء فيه لله، ولكنه قد يفيد الدّاعية في معرفة الغثّ من السمين، وكما قال عمر -رضي الله عنه-: "**يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية**"، فالذين لا يعرفون الجاهلية ولا يعرفون كيف يفكّر أهلُها يمكن أن يستدرجوا ويضيع منهم الإسلام.

النشأة على العقيدة السلفية

نشأت – يوم نشأت – وفتحت عيني على العقيدة السلفية والدعوة السلفية، فإنّ أبي – رحمه الله – كان سلفي المعتقد، وقد ذكرت أنه وإخوانه هاجروا إلى المدينة سنة 1928م عندما دخلت في حكم (آل سعود) لعلمهم أن هذا حكم إسلامي، ولإيمانهم بالدعوة السلفية.

ثم من أول ما عرفت الحياة وأرى المعركة الكبيرة بين الوالد وبين عباد القبور، ومؤولة الصفات لله تبارك وتعالى، وقد عشت هذه القضايا منذ الصغر.

اضطر الوالد إلى دخول محاكمات لأنّه يقول: "إن الله في السماء"، ومنع من الصلاة في الكثير من المساجد بناء على شكاوى بعض الناس.

ومن الحوادث الطريفة التي حصلت له أن بعض المسلمين من أتباع الجمعية الشرعية، وهي جمعية إسلامية أسسها محمود خطاب في غرة محرّم 1301هـ الموافق 11 ديسمبر 1912م وهي ما زالت موجودة، وقد كانوا أشاعرة في الصفات، حيث قدّم أهل المسجد شكوى في والدي إلى ضابط الشرطة في بلد مجاور، لأن بلدنا ليس فيها نقطة شرطة، وذكروا في الشكوى أن هناك رجلاً كافراً يأتي إلى المسجد ولا نريده أن يأتي ليصلي فيه، فاستغرب الضابط استغراباً كبيراً.

وقال: "هاتوا لي هذا الكافر، وكيف يتجرأ ويدخل المسجد ويصلي معكم؟"

ولما دخل الوالد بلحيته وهيئته، و(الغترة) على رأسه على طريقة أهل الحجاز وليس على طريقة المصريين بلبس طاقية، فلما دخل بهذه الهيئة؛

قال الضابط: "هذا هو الكافر ؟!"

قالوا: "نعم"

قال: "إيش معنى كافر ؟"

قالوا: "لأنه يقول أنالله تبارك وتعالى في السماء"

أجاب الضابط بفطرته: "أُمال هو ربنا فين!"

فكان كل من يقول أن الله تبارك وتعالى في السماء، معناه الحكم عليه بالكفر.

فالوالد – رحمه الله – ربانا تربية سلفية، بل أذكر وأنا صغير من كلماته: "يا بني؛ عليك بكتب ابن القيم وابن تيمية".

فكان دائماً يوصيني بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وكنت صغير السن، وربما كان سني تسع سنوات، وكان يُلِحُّ علي في ذلك – والحمد لله –، ولما نشأت وكبرت عرفت قيمة هذا الَتوجيه.

الدراسة الثانوية والجامعية

مكثت في المدينة حوالي تسع سنوات منذ أن هاجرت إليها، وهي فترة الدراسة في ثانوية طيبة، ثم أربع سنوات تدريس في المدارس الابتدائية، ثم أربع سنوات دراسة في الجامعة الإسلامية، وكانت أفضل سنوات حياتي على الإطلاق، وهي الأربع سنوات التي درستها في الجامعة الإسلامية.

وقد اخترت رئيساً للنادي العلمي في الجامعة الإسلامية لأربع سنوات، وهو من أحسن الأندية التي ظهرت في الجامعات السعودية باعتراف الناس والمربين، وكان مما حفظ الوالد عبد العزيز ابن باز – رحمه الله – يحضر أحياناً في هذا النادي، وأحياناً يستضيف الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله –، وغيره من كبار المشايخ والدعاة والطلاب، فكان ملتقى للشباب في الجامعة الإسلامية في يوم الخميس من كل أسبوع .

التأصيل على مشايخ الدعوة السلفية

تعلمت السلفية بأصولها عندما جئت المدينة، والتقيت بكثير من المشايخ وطلاب العلم قبل أن أدخل الجامعة، فكونا مجموعة من شباب المدينة السلفيين تقوم بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى، – فبحمدالله – دخلت الجامعة سلفيَّ العقيدة والمنهج.

وتأصل هذا العلم عندما التقيت بكبار المشايخ ودرست عليهم، من أمثال الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، وكنت قد درست عليه قبل الدخول إلى الجامعة، والتقيت في الجامعة بسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز، وبشيخنا الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، وشيخنا الشيخ مُحَمَّد عبد الوهاب البنَّا، وشيخنا الشيخ عبد المحسن العباد، وهؤلاء وغيرهم من أهل العلم، وكان هذا الذي جعلني أعرف (السلفية) بأصولها وقواعدها ومنهجها في الجهاد وفي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

العلَّامة محمد الأمين الشنقيطي

درست وتلقيت العلم على منهج الجامعة الإسلامية، ففي التفسير وأصول الفقه درست على الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، وهو – رحمه الله – لم يكن فقط أستاذ مادة، وإنما أستاذ لكل العلوم، وآسف إذا قلت أستاذ؛ لأنه كان يكره كلمة أستاذ كراهيةً شديدةً ويقول: "يا إخوان أنا لست أستاذاً"، ويرى أنها كلمة لا تليق بأهل العلم.

فهو شيخنا وعالمنا وأستاذنا، الذي لم نتتلمذ على مثله، ولم تر عيني مثله في علمه وفي أدبه الجم وأخلاق العلماء، رحمة الله عليه.

واستفدت منه ليس فقط في علم التفسير وعلم أصول الفقه بل كذلك في الفقه والعقيدة، وما تعلمته من العقيدة الصحيحة تعلمته عليه بأصولها وبحججها وأدلتها.

وتعلمت عليه علوم العربية وعلم البلاغة وغيرها من العلوم، فقد كان مدرسة كاملةً في كل النواحي، والرجل قد بلغ الغاية في الإحاطة والمعرفة في علوم الدين، واستفدت منه أعظم استفادة، وتعلمت عليه بما لم أتعلم على مثله.

سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز

وكذلك شيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه‌الله – درست عليه في الجامعة جانباً من العقيدة، وحضرت له في المسجد النبوي دروساً في البخاري وفي مسلم، ودروسه الدائمة في مسجد الجامعة، ومواعظه، والجلسات التي كانت في ديوانه، وكانت هذه الجلسات عامرة بالفتاوى، وبالحديث في كافة شؤون المسلمين.

الشيخ المحدث العلامة الألباني

كان الشيخ ناصر هو شيخنا، ومن أوَّل مجيئه إلى الجامعة الإسلامية قد أحببته جداً، ولازمته ملازمة الظِّل كما يقال، واستفدت كثيراً من علمه بالطرق الواسعة بالحديث النبوي، ثم بمعرفته بواقع الأمة ومشكلاتها، فقد كان لنشأته ببلاد الشام واحتكاكه بالتيارات والجماعات الإسلامية الكثيرة سببا ليكون على علم كبير بواقع وأحوال الأمة الإسلامية.

وقد استفدت منه كثيراً بالمناقشات المستمرة له مع العلماء والمشايخ، ومجلس الشيخ ناصر يقوم على النقاش العلمي، فالشيخ لم يكن أستاذ محاضرة ودروسٍ مجردة، وإنما تقوم طريقته على طرح القضية العلمية للنقاش فيها، سواء كان مع عالم أو طالب علم أو طالب منتظم معه، فيأخذ ويعطي معه حتى يدربه في تعلُّمه على طريقة الإدلاء بالحجة والنّقاش ومعرفة الدليل، فاستفدت من طريقة المناقشة والمناظرة التي تعمل على تدريب الطلبة وتجعلهم يتعلّموا بأنفسهم.

كما درست على الشيخ فقه الحديث من كتاب (سبل السلام)، وكذلك التخريج، وبعض مصطلح الحديث.

مجالس الحوار بين العلماء

كانت هناك جلسة في دار الحديث لهؤلاء المشايخ للنقاش والمناظرة، تستمر من بعد صلاة العشاء إلى بعد منتصف الليل أحياناً، وكان يأتي كثير من طلاب العلم في هذه الجلسات، وصارت فيها مناظرات في قضايا كثيرة، سواء كانت تتعلق في مسائل علمية لبعض الفروع في الصلاة، أو في قضايا أصولية، أو قضايا عقائدية.

وأذكر أن أكثر القضايا الخلافية التي دارت حولها النقاشات صلاة التراويح، وطريقة الهويِ في السجود، ومتى يمسك المسلم عن الطعام في رمضان، هل هو بطلوعِ الفجر أم هو بعد ذلك بالأذان، وأمور أخرى كثيرة.

وكان النقاش علمياً بين المشايخ بأدلته، وأحياناً نحتاج لإنزال الكتب من الرفوف والرجوع إليها، فكانت هذه المناظرات والمناقشات حلقات علمية بالمعنى الكامل لحلقات العلم.

المخيمات العلمية والدعوية

من الرحلة في طلب العلم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى والتي كان لها أثر عظيم في حياتي الرحلات الأسبوعية التي كنا نخرجها مع سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله – وكثير من أساتذة الجامعة.

وفي كل أسبوع كنا نخرج إلى قرية من القرى المحيطة بالمدينة هنا وهناك، وكنا نقيم فيه مخيماً يومي الخميس والجمعة، حيث يقوم أحد طلبة العلم ويخطب أمام الشيخ ابن باز في أحد المساجد، ثم يعقّب على كلمة هذا الشخص؛ ما الذي أحسن فيه وما الذي قد يكون أَخطأ فيه، فيقومه تقويماً عملياً، فهو درس عملي على الخطابة، ثم يكون اللقاء مع الناس، حيث نتعلم كيفية النقاش مع عوام الناس، ثم الرجوع إلى المخيم ليكون نقاش العلماء بعضهم مع بعض، فنسمع فيه كيف يكون النقاش بين المشايخ بعضهم مع بعض، ثم نقاش طلاب العلم مع المشايخ، فاستفدت فائدة عظيمة جداً من هذه الرحلات الدعوية.

التدريس في المسجد النبوي

في حدود سنِ العشرين كان لي حلقة في المسجد النبوي أيام الموسم، أجلس فيها للقاء الحجيج وتعليمهم شيئا من مناسك الحج، وبعض الأحكام الأساسية في الإسلام، كقضايا في التوحيد وفي الصلاة.

وكان لي أيضاً كلمة ثابتة في المسجد النبوي عند باب الرحمة في كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة، واستمرت إلى سنة 1384هـ تقريباً، كان يحضرها عدد كبير خاصة في موسم الحج، من ألف إلى ألف وخمسمائة شخص.

الرحلة للدعوة في السودان

كانت أول دولة ذهبت إليها من أجل الدعوة إلىالله هي السودان، وذلك في أثناء الدراسة في الجامعة الإسلامية، حيث ذهبنا في سنتين؛ السنة الأولى في الجامعة، والسنة الثانية في الصيف.

وكان يقودنا أستاذنا الشيخمُحَمَّد عبد الوهاب البنَّا – حفظهالله –الذي أخذت منه شيئا كثيرا، فرأيت فيه أخلاق العلماء وأدب السلف، فما كنت أقرأه في الكتب وجدته متمثلاً في هذا العالم الجليل جزاهالله عنا أحسن الجزاء.

فوجئت بالسودان، حيث كان متأثراً بالفكر الديمقراطي، وأعني بالفكر الديمقراطي حرية الكلمة، وأن لكل إنسان أن يناقش؛ الصغير والكبير والأمي والمتعلم، فحلقات النقاش والأندية لكل الاتجاهات، وكل الدعوات موجودة – تقريبا –.

فالحزب الشيوعي حزب رسمي معترف به، كما كان الشيوعيون يأتون إلى المساجد للمناقشة والحوار، وكذلك يذهب المسلمون إلى أندية الشيوعيين ليناقشوهم ويجادلوهم، كما أن الشيوعيين يدعوننا إلى أنديتهم لإلقاء المحاضرات والمناظرات.

وفي الساحات العامة وفي الأسواق تقوم حلقات النقاش، فيقوم شخص فيخطب فيتجمع حوله الناس ثم يبدأ النقاش، ،كانت الجامعة مسرحاً لكل هذا، ففيها الشيوعيون، وفيها الإخوان المسلمون، وفيها

السلفيون، وفيها من أتباع من يسمى (محمودمُحَمَّد طه) الذي يدعو إلى دين باطني، وفيها الصوفيون على اختلاف درجاتهم، ووجدت الأفكار الصوفية الباطنية الغالية في مساجدهم.

وكان من الأشياء التي يتّصف بها أهل السودان أن الكل في نقاش، ولكن بدون أن يضرب أحدٌ أحداً، وكلٌّ يسمع من غيره، فتدربنا على الدعوة بالحوار والمنازلة، ووقفنا على أفكار كثيرة يمكن أن تقرأها في كتاب لكن أن تراها حية أمامك وتناقش فيها! فهذا شيء عجيب، حتى أني قلت لإخواني: "والله ما استفدنا هذا في دراستنا كلّها بالجامعة"، لأن الطّالب يجد نفْسه في المعترك الحقيقي للدّعوة.

وقضينا مدَّة الشَّهرين التي أقمناها هناك في المناظرات والدعوة إلىالله تعالى، إلا أوقات النوم القليلة، وكان الشيخمُحَمَّد عبدالوهاب البنَّا لا ينام في الأربعِ والعشرين ساعة أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات، فيجلس أحياناً بعد العشاء ويأتي إليه الصوفية ويناقشونه إلى الفجر، وكنا من شدة التعب ننام ساعة أو ساعتين في المسجد، ثم نجد أن حلقة النقاش لم تنته بعد.

وكان لنا بعد الفجر دروس، وفي القطار دروس، وفي المحطات دروس، فكانت شهرين عبارة عن حياة علمية ونقاش واطلاع على أفكار الناس أكثر مما تأخذه في أربع سنوات في الجامعة.

رحلات دعوية أخرى

سافرت بعد مجيئي الكويت إلى أمريكا، وإلى بريطانيا، وإلى جنوب شرق آسيا مثل إندونيسيا، وكذلك سافرت إلى باكستان مرة أو مرتين.

وسافرت إلى غيرها – والحمد لله – من أجل الدعوة إلى الله ولقاء الشباب مما كان له أثر كبير في انتشار الدعوة.

الواقع الديني في الستينات

كانت الكويت في هذه الفترة تعيش فترة الطفرة النفطية، وكانت الحكومة توفر عامة الخدمات للشعب بالمجان أو برسوم قليلة، في الماء والكهرباء والتعليم والتطبيب.

وكان الفكر القومي واللاديني هو المنتشر في أوساط الشباب، وقد فوجئت أن الذين يصلون في المساجد هم من كبار السن فقط، وكنت لا تكاد تجد شابا يصلي في المسجد، حتى أنني سألت بعض القائمين بأمر الدعوة في الكويت عن الشباب فقال: "شباب الكويت ميئوس منهم!".

بداية الدعوة إلى الله

بدأت الدعوة عن طريق درس في التفسير، وكان أول درس في التفسير في مسجد (ملا صالح) القائم في شارع (فهد السالم) أو الذي يسمونه شارع (الجهراء)، وكان يحضره الكثير من المارة، وكان قد بقي في المرقاب بيوت قليلة.

وكان من الكويتيين الذين يصلون فيه الشيخ عبدالله المجحم، وكان رجلاً من أهل الفضل، ومن الملازمين للمسجد، وممن يحضر هذا الدرس دائماً، كما كان يحضره الكثير من المصريين من المارة، ومن بعض الفلسطينيين وأكثرهم من قبيلة التعامرة، وهؤلاء كانوا متخصصين في الكويت بالنقل عن طريق (السيكل).

ثم انتقل الدرس إلى مسجد يسمى الآن مسجد (الشايجي) في النقرة، وهذا المسجد كان عبارة عن محطّ لطلاب العلم، وهو أول ما انطلقت فيه الدعوة بدرس التفسير، وحضر فيه كثير ممن أصبح لهم جهد وباع في الدعوة إلىالله تعالى.

وبدأت دروس أخرى ،كانت دروساً عامة – والحمد لله –، فكان درس التفسير، ثم درس في التوحيد وهو (القضايا الكلية للاعتقاد من الكتاب والسنة)، ثم بدأت دروس من كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، عدا الدروس الفرعية.

مشايخ الدّعوة القدامى

كان الشخص الوحيد – فيما أرى – القائم بالدعوة هو الشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمه‌الله –، وكان يأتي من السعودية وينقد كثيرا من الأوضاع في الكويت.

ومن المشايخ القدماء في الدعوة إلى‌الله بعض المشايخ في الأوقاف مثل الشيخ عبد العزيز حماده، والشيخ أحمد الخميس وكان رجلاً مشهوراً، ولكن كبر في السن واعتزل الخطابة، كما كان الشيخ علي الجسار يصلي في مسجد في النقرة وله جمهور، وأيضا الشيخ عبدالله النوري، فهؤلاء المشايخ كان لهم أثر فيمن حولهم.

كنت قد دخلت الكويت في 23 ربيع أول 1385هـ 1965/7/21م لأبيت ليلة واحدة، ولكني بقيت فيها.

وأول شخص جاء بعد ذلك هو الشيخ عمر سليمان الأشقر، وكان صاحباً لي وصديق عمر في المدينة النبوية، حيث كنا معاً في الجامعة الإسلامية، فقد كان أمين المكتبة في الجامعة، ومنتسباً إلى كلية الشريعة في الرياض، وكنا – بحمدالله – إخوة في الدعوة وفي العمل، وبيننا أكثر مما بين الإخوة من الصداقة والمحبة، ولما جئت إلى الكويت أرسلت له رسالة، فجاء بعد شهر، ثم قدّم أوراقه وقُبل في وزارة التربية مدرساً.

أما الشّيخ عبد الرحمن عبد الصمد فقد تأخر في مجيئه مدة، لأنه

كان في سوريا، وحاولنا استقدامه فجاء في عام1970م حيث يسرالله له له الخروج من سوريا، وكان له أثر واضح جزاه الله خيراً، ورحمه رحمة واسعة، حيث كان في الأربع والعشرين ساعة يشتغل بالدعوة، وفترات الراحة عنده قليلة، فكان مجاهداً دؤوباً.

وكذلك كان الشيخ مصطفى زربول، قد جاء بعدي بشهرين أو ثلاثة، وهو من الناس المشهورين في الكويت، وكان له الأثر في تنشيط الصحوة.

كما كان للشّيخ حسن طنّون الذي قدم من السودان أثر كبير، وكان يتبعه جمهور هائل من مسجد إلى مسجد يسمعون دروسه ومواعظه، وكان مؤثّراً في الوعظ والحكايات، وهو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية من أنَّ بعض الناس يستخدم الأحاديث الضعيفة للوعظ والتأثير، وهو أسلوب باطل، لكن قد ينتفع به بعض الناس ويأتون إلى الدين، ويكون هذا خيراً مما هم فيه من فسق وفساد، وبعض الناس قد اهتدى عن طريق حديث ضعيف.

ويذكر لي أحد إخواننا أنه قرأ حديث " **من تهاون في الصلاة عاقبه الله بخمسة عشر عقوبة**" وهو حديث موضوع، لكن الحديث خوفه حتى صار يصلي، ثم صار سلفياً، فجاء إلى الدين عن طريق حديث موضوع.

كثير من الشباب قد يكون أول ما عرف الإسلام عن طريق بعض الحكايات وبعض الوعظ الذي لا يكون على منهج الكتاب والسنة

ولكن الله سبحانه وتعالى يشرح بصيرتهم ويتوجهون التوجه الصحيح.

كذلك من الناس الذين كان لهم أثر كبير في الدعوة الشيخ حسن أيوب – رحمه الله – وكان خطيباً، وله شجاعة ونشاط عظيم، وأكثر التجمعات في الدروس العامة كانت على دروسه وخطبه، وأثّر في الناس تأثيراً جماهيريا كبيراً، وقد كان له الأثر العظيم في توجه الناس نحو الإسلام والدعوة.

دعوات الجماعات الإسلامية

كانت الدعوة إلى الله تقوم بها جمعية الإصلاح، وهي دعوة محدودة في غير الكويتيين، وفي بعض الكويتيين الكبار.

وكان هناك تواجد لجماعة التبليغ، وكان مركزهم في الأحمدي، وذهبت لهم مرة أو مرتين، وأكثرهم موظفون في شركة نفط الكويت من الهنود والباكستانيين، وينضم لهم بعض الكويتيين واليمنيين.

وكانت مجموعات من حزب التحرير من الفلسطينيين، لكنَّ حزب التحرير لم تكن دعوتهم في المساجد كما هو معروف عنهم، بل إن حزب التحرير يرى أنه لا تصح الدعوة إلى الصلاة، والدعوة الأساسية عندهم إلى الخلافة، وكنا نناقش كثيراً منهم؛

فنقول له: لم لا تصلي؟

فيقول: الإمام أو الخليفة هو الذي يأمرني بالصلاة.

كذلك نقول له: بناتك غير محجبات يمشون مثل باقي الناس ؟

فيقول: لما يأتي الإمام أو الخليفة يأمرهن بالحجاب.

فقلت: إذا كنت لا تصلي، وأنت لا تستطيع أن تحجب بناتك؛ فإن الإمام لن يفرض عليك ذلك بالقوة.

الرجوع إلى الدين بعد حرب الـ 67

سارع في حضور الشباب إلى المساجد حرب 1967م، فإنّ هزيمة العرب الكُبرى في هذه الحرب كانت مثل الصَّدمة العظيمة في العالم الإسلامي، فقد كان الناس منطلقين نحو اللادينية، ونحو القومية العربية التي تقوم على غير أساس ديني، ونحو الاشتراكية، وتحمس الشباب بوجه عام تقريباً حول هذه الشعارات، ثم لمّا وقعت هذه الكارثة كان من حسناتها أن الناس أصابهم مثل الصدمة والإفاقة، وبدأ كبار المنظّرين يرجعون عن تلك المذاهب والأفكار، وابتدأ الناس بالتوجه نحو المساجد.

كان هذا بداية طيبة وتوفيقاً من الله عز وجل وإرهاصاً لانطلاق الدعوة... فانطلقت الدعوة، وكان الآتي للدعوة أكثر من طاقة المربين والدعاة، فقد تجد شاباً سلفياً في منطقة ما ويكون طالباً في الثانوية وعنده في الديوانية التي يديرها أكثر من مائة ومائتي شخص، وهو مطالب بأن يعلمهم ويربيهم.

المنهج الصحيح في التأليف

أول رسالة كتبتها – بحمدالله – هي (القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة)؛ لأني رأيت أنه لا بد من جمع كلّيات الدّين بأسلوب سهل في قواعد جامعة ليعرفها المبتدئ، وهذا مبني على قضية علمية؛ لأن التعليم الصحيح يبدأ بالكليات ثم الدخول إلى الفرعيات والجزئيات، وهذا هو الطريق الصحيح للعلم، فالإسلام لا بد أن تعرف كلياته أولا ثم جزئياته، وهو مجموع في (لا إله إلاالله مُحَمَّد رسولالله) وهي كلية الكليات وأصل القضايا كلها، ومنها تتفرع كل الجزئيات والفروع.

كتبت (القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة)، وعُرِض على مجموعة من المشايخ وأقروه، وقمت بشرحه في سلسلة من الدروس...

ثم كتبت (الأصول العلمية للدعوة السلفية) لأُبيّن أصول هذه الدعوة، وإلى ماذا تهدف، وعلى أنها هي دعوة الإسلام، ثم كانت فتنة التكفير واشتدت فكتبت (الحد الفاصل بين الإيمان والكفر)..

ثم كتبت (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية)، فمن أول ما عرفت الدين والإسلام كحل كان شغلي الشاغل: ما هو المنهج الذي يمكن أن تطبقه الأمة لتبعث من جديد؟ فكتبت هذا الكتاب.

وكنت أكتب كل رسالة بحسب الحاجة إليها، وليس لمجرد التأليف، وإنما التأليف للحاجة، وحينما لا يوجد كتاب يسدُّ هذه الثغرة فأبادر إلى الكتابة ولو شيئا مختصراً على حسب الفراغ والوقت.

قائمة بكتب ورسائل الشيخ

1. الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي
2. السلفيون والأئمة الأربعة ﷺ
3. أضواء على أوضاعنا السياسية
4. القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة
5. الأصول العلمية للدعوة السلفية
6. الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات
7. الطريق إلى ترشيد حركة البعث الإسلامي
8. منهج جديد لدراسة التوحيد
9. العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية
10. فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله (نسخة معدلة)
11. الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها
12. لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية
13. وجوب تطبيق الحدود الشرعية (نسخة معدلة)
14. فضائح الصوفية
15. القول الفصل في بيع الأجل
16. أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في العقيدة
17. تحضير الأرواح: كهانة قديمة في أسلوب عصري
18. المسلمون والعمل السياسي

19.القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره والفتح على الإمام

20.خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية (نسخة معدلة)

21.توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي

22.الزواج في ظل الإسلام (باللغة العربية والفرنسية)

23.الوصايا العشر للعاملين بالدعوة إلى الله سبحانه تعالى (نسخة معدلة)

24.مشروعية الجهاد الجماعي (نسخة معدلة)

25.الحد الفاصل بين الإيمان والكفر

26.الولاء والبراء

27.كلمات مضيئة في الانتفاضة الفلسطينية

28.شيخ الإسلام ابن تيمية والعمل الجماعي

29.أصول العمل الجماعي (نسخة معدلة)

30.هذه حكمة الإسلام في الأحكام الخاصة بالمرأة (باللغة العربية والإنجليزية)

31.الرد على أسئلة (توني بولدروجوفاك) وتشكيكاته حول القرآن الكريم والنبي العظيم

32.فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

33.شهادة الإنجيل على أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

34.أولويات العمل الإسلامي في الغرب

35.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية

36.مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة

37.حكم معاهدات الصلح والسلام مع اليهود، وموقف المسلم منها (باللغة العربية والانجليزية)

38.القواعد الذهبية في أدب الخلاف

39.المشوِق في أحكام المعوَّق (باللغة العربية والفرنسية)

40.تنبيهات وتعقيبات لسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز – حفظه الله – المفتي العام للمملكة العربية السعودية على بعض ما جاء في كتبي وأشرطتي

41.من خطب المنبر

42.أحكام التصوير في الشريعة الإسلامية

43.حقيقة الاحتفال بالمولد النبوي

44.الطريق إلى وحدة الأمة

45.أصول الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

46.موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة

47.الرد الوجيز على الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وكتابه "جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات حوار مع الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق"

48.مشكلاتنا التربوية في ضوء الإسلام

49.الصراط: أصول منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والعمل

50.نقض الفرية: الرد على ما ادَّعاه الشيخ عبدالله بن خلف السبت

51.البيان المأمول في علم الأصول

52.الجحيم رؤية من الداخل (باللغة العربية والانجليزية)

53.الأحكام الفقهية للمريض

54.الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة

56.حكم تولي المرأة الولايات العامة والاشتراك في المجالس التشريعية نائبة وناخبة

57.البرهان...على أن تارك العمل – اختياراً – فاقد لأصل الإيمان وأن الكفر كما يكون بالقلب يكون بالعمل واللسان

58زملامح المنهج المعتدل وأثر وسطيته في حياة المسلمين

59.ابن عربي صاحب كتاب (فصوص الحكم) ... إمام من أئمة الكفر والضلال

60.الحقيقة الصوفية

61.بين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عربي

المراجع العلمية للدعوة السلفية

من الكتب التي كنت أدرسها للمبتدئين كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وكتب أعلام الدعوة السلفية القدامى.

ثم أنشئت الدار السلفية، وبدأت تنشر بعض الكتب التي ذكرتها، وكان من ضمن الكتب القديمة التي نشرت كتب الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي من قطر، ثم تتابعت الرسائل السلفية والكتب.

الأصول العلمية للدعوة السلفية

تقوم (السلفية) على ثلاثة أصول علمية أساسية: هي التوحيد، والإتباع والتزكية.

فالتوحيد هو عماد الدين، وهو الذي من أجله بعث الله رسله إلى العالمين.

كما قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: من الآية36].

وَهو يعني عبادة الله وحده لا شريك له، بكل أنواع العبادة التي شرعها:

الظاهرة: كالصلاة والصوم والحج، والنذر والذبح، والطواف ومفردات ذلك، والباطنة: كالخوف والرجاء، والحب والتوكل والإنابة.

وأما الاتّباع فهو إفراد الرسول -ﷺ- وحده بالمتابعة، فلا تشريع إلا بما جاء بهَ، ولا دين إلا ما قرَّره وأقرَّه، وهذا معناه أن كل فرد بعده - صلى الله عليه وسلم - يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا هو -ﷺ-.

وأما التزكية فهي إصلاح النفس وفق المنهج الرباني، ولا يكون ذلك إلا بأداء الفرائض، ثم الإكثار من النوافل والتزام طاعة الله ورسوله في ذلك، فلا عبادة إلا بما شرع الله عز وجل، ولا تَقرُّب إلا بما رسم رسول الله -ﷺ-.

ارتباط الدعوة السلفية بالمنهج لا بالأشخاص

تمتاز الدعوة السلفية عن سائر الدعوات أنها ليست دعوة متعلقة بأشخاص، وإنما هي ارتباط بمنهج وأصول، وعندما أدعو إلى الله لا أقول للطلاب لا تأخذوا إلا عنا! بل إنني أربطهم بكتاب الله وبقائد الجميع وهو رسول الله -ﷺ-.

وكلُّ عالم بعد النبي -ﷺ- يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا النبي -ﷺ-، وبالتالي فإن دعوتنا تقوم على الارتباط بالكتاب والسنة.

فالدعوة السلفية هي دعوة الكتاب والسنة وعمل الصحابة، وأن نفهم هذا الدين بفهم أصحاب النبي -ﷺ-.

ثم إن الدعوة السلفية لا تتوقف على عمل جماعة أو مجموعة، بل إنَّ أي مسلم يحمل هذه الدعوة ينبغي أن يدعو بها أينما وجد، ولا يشترط لكي يدعو إلى الله أن يرتبط بجماعة أو يتعاون مع إخوان له، بل إن حصلت له الصلة فهذا هو الأولى والأحرى، كما نشاهده الآن وهو من بركات هذه الدعوة حيث صار لها رابط وإخوة وجماعة في الكويت - والحمد لله - تقوم بما تقوم به دول، فلو كان هذا العمل من أفراد ليس بينهم رباط أو تعاون لبقي العمل محدوداً.

و إذا نظرنا إلى ثمرات الدعوة الآن وجدناها شيئاً عظيماً سواء كانت كانت على مستوى المنشآت التي تهم المسلمين، أو على مستوى الإغاثة

بالنسبة إلى عموم الأمة، أو على مستوى التوجيه بالنسبة لعموم الأمة وترشيد الصحوة الإسلامية، فهذا العمل لا يمكن أن يقام بمجهود فرد أو أفراد متفرقين.

والدعوة إلىالله في الكويت دعوة مؤسسة وليست دعوة فردية، بل إن الدعوة السلفية بالأساس ليست دعوة أفراد، بل هي دعوة إلى الكتاب والسنة، وكل ما هو سلفي يعني أنه يرتبط بالكتاب والسنة وبعمل أصحاب النبي ﷺ-.

ثم إن هذه الدعوة كذلك لا تتعلق بالجماعة، فالسلفيَّة دينالله يدعو إليه المسلم سواء كان وحده أو معه واحد أو اثنين أو ثلاثة، وبالتالي فإن الدعوة السلفية في الكويت ليست متعلقة بأيِ شخص، بل هي – والحمد لله – متعلقة بمنهج مما يعطيها صفة الدوام والبقاء ذلك لأنها:

أولا: دعوة مرتبطة بالكتاب والسنة، وبعمل الصحابة، وبإجماع الأمة، وبالحق.

وثانيا: أنها أصبحت في الكويت دعوة مؤسسة قائمة، وليست دعوة فرد أو أفراد، وبقاء المؤسسة أضمن – إن شاءالله – وأبقى من بقاء الأفراد.

ثالثا:أنها دعوةالله سبحانه وتعالى؛ ودعوةالله لا بد أن تبقى.

لماذا كانت هذه التسمية

وهذه التسمية اختصار لتعريف مطول؛ فالقول بأن فلانا سلفي يعني أنه ليس خارجياً مستحلاً دم المسلم بالمعصية، وليس رافضياً ممن يكفر الصحابة، وليس محرفاً متأولا بالباطل ممن ينفي صفات الله ويحرف معانيها، وليس مشبهاً لله بخلقه، وليس حلولياً أو اتحادياً ممن يقول بالوحدة أو الحلول، وليس صوفياً، وليس قبورياً ممن يعبد القبور ويقدم النذور لها ، وليس مقلداً متعصباً ممن يلتزم قول إمام بعينه ولو علم أنه يخالف الآية والحديث...فكلمة (السلفي) هي تعريف مختصر يختصر كل الاحترازات السابقة.

وليست (السلفية) بعد ذلك نسبة إلى إمام بعينه أو شيخ خاص، وإنما هي المنهج والطريق الذي سار فيه الصحابة والخلفاء الراشدون والأئمة المرضي عنهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهداف الدعوة السلفية

للدعوة السلفية المعاصرة أهداف عظيمة في الحياة أهمها:

أولا: توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة ومنهج تشريعي واحد؛ وذلك حتى يسهل إقامة الأمة الواحدة التي تنضوي تحت علم واحد وإمام واحد.

ثانيا: بناء المسلم الطيب الزكي النفس الموحِّد البعيد عن الشرك والتعصب والخرافة والجهل.

ثالثا: تنقية المجتمع الإسلامي من الشرك والبدع والخرافات والخلاعة والمجون، وذلك بإيجاد المحضن النظيف الذي يصلح لتربية أجيال المسلمين.

رابعا: محاربة الانحلال والأفكار الدخيلة التي اجتاحت شباب الإسلام وخاصَّة أفكار الملاحدة والشيوعيين والزنادقة.

خامسا: تخليص العالم الإسلامي من أعداء الإسلام الذين غزوا دياره، ومزقوا شمله، وفرقوا أوطانه لتقوم للمسلمين أمتهم ودولتهم العزيزة.

أهم قواعد المنهج السلفي

1) الالتزام بالكتاب والسنة مصدراً للتشريع ومرجعاً عند كل خلاف، وتطبيقاً في الحياة، والحكم بهما على كل قول، وعدم تقديم أي قول يخالفهما مهما كان قائل هذا القول.

2) جعل توحيد الله هو الأساس والمنطلق والخاتمة والنهاية... والتوحيد يعني إثبات ما أثبتهالله لنفسه وأثبته له رسوله بغير تحريف ولا تمثيل، وعبادةالله وحده لا شريك له، وتطبيق شرعه في الأرض وفي كل شأن من شئون حياتنا.

3) التمسك بوحدة الأمة وعدم السماح بتمزيقها وتفريقها في مناهج عقائدية، أو مذاهب فقهية أو عصبيات حزبية.

4) التفريق الدائم بين الحق والباطل والشرك والتوحيد، والسنة والبدعة، والنصح الدائم لله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

الدعوة إلى الله من خلال المدارس

عملت بالتدريس – بحمد الله وتوفيقه – بين مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية، وكنت قد عملت أربع سنوات مدرسا بالمدينة المنورة بعد الثانوية العامة، كما عملت أكثر من إحدى وعشرين سنة مدرسا في وزارة التربية بالكويت.

ومهنة التدريس مهنة شاقة متعبة، ولكنها مفيدة لمن له هم لدينه في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فهي تمكّن من الالتقاء بالناشئة، وإذا قُيض له أن يدرس مادة من المواد التي لها صلة بالدين كالتربية الإسلامية أو اللّغة العربية؛ فإنه يستطيع أن يؤدي دوراً عظيماً في غرس مبادئ الإسلام وتوجيه الأجيال نحو الإيمان بالله عز وجل والدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

ولذلك أوجه عناية إخواني الشباب والدّعاة إلى أنهم لا بدّ أن يحرصوا على مهنة التعليم؛ لأنها المهنة الحقيقية لإخراج جيل وشعب مسلم، وإن كان في مهنة التدريس المشقة والمتاعب، لكنها لمن ينوي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى هي المجال الأوسع والأجدى.

وقد هدى الله تبارك وتعالى كثيراً من الشباب في هذه المرحلة، والآن هم رجال كبار في الدعوة وفي شتى مجالات الحياة.

تطوير مناهج التربية الإسلامية

دعيت إلى بعض اللجان لتطوير مناهج التربية الإسلامية، واشتركت فيها مدة، ولكن لانشغالي بعمل الدعوة التي وفقنيالله لها بعد التدريس كانت تمنعني من المشاركة في هذه اللجان.

ورأيت أن في كثير من اللجان تضييعا للوقت، فأحيانا العمل الذي يمكن إنجازه في شهر أو شهرين يستمر لعدة شهور أو لعدة سنوات، ولمجرد تسجيل ساعات عمل يتقاضى الإنسان عليها أجراً.

كذلك اشتركت في وضع كتابين في التربية الإسلامية، وكتبت فيها بعض قضايا في التوحيد، وبعض قضايا في الفقه.

حصة التربية الإسلامية لقاء أخوي

كنت أعامل الطلاب كما أعامل الأصدقاء والأبناء، وكان أغلب وقتي لا أقضيه في غرفة المدرسين، وإنما مع الطلاب في فناء المدرسة، وجزء كبير من وقتي لمعرفة مشاكل الطلاب وهمومهم، وأسهمت – بحمد الله – في حل كثير من مشكلات الطلاب العائلية، ومشاكلهم التي يعانون منها، بل وبعض المشاكل المالية، وكان هذا له أثر كبير في نفسية الطلاب الذين ألتقي فيهم، وكان بعض الطلاب يتركون فصولهم ويأتون عندي في الفصل، بل كان منهم من يهرب من المدرسة طول النهار ويأتي ليحضر حصتي، حيث كانت دروسي عبارة عن لقاء أخوي تفتح فيه كل الموضوعات التي تهم الطلاب من الناحية الدينية.

كانت مادة التربية الإسلامية تابعة لمادة اللغة العربية،كما أن مادة التربية الإسلامية وإن كانت مادة رسمية لا يسمح للطالب بأن يرسب فيها "لأننا مسلمون"؛ فكيف يرسب الطالب في الدين! وحينما تناقشهم وتقول: إن التربية الإسلامية فيها حفظ للقرآن وللحديث وفهم لقواعد ومعاني الدين كان هذا من غير المقبول عندهم، بل كانت عبارة عن حصة ترفيهية يأخذها مدرس اللغة العربية للتسلية، ثم فُصِلت عن قسم اللغة العربية فكنت أدرس التربية الإسلامية بمعنى التربية الإسلامية، التربية التي تخرج إنساناً مسلماً، والذي هو أساسنا الذي ننطلق منه إلى كل آفاق الدين من حيث هو سلوك واعتقاد وعمل وخلق.

جماعة المسجد في المدرسة

من النشاط المدرسي المعروف إيجاد جماعة للمسجد، وكان في كل مدرسة – تقريباً – جماعة للمسجد، وتهتم هذه الجماعة بحفظ المزيد من القرآن، وبأداء صلاة الظهر في المدرسة، وبدعوة الطلاب إلى الفضيلة، وإلقاء بعض الكلمات التوجيهية، وإقامة بعض الأنشطة الدينية، وكان هذا له أثر كبير في الطلاب.

الدعوة إلى الله من خلال الإمامة

بعد التخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية جئت إلى الكويت في 23 ربيع أول 1385هـ الموافق لـ 1965/7/21م لأمكث يوماً واحداً وأسافر بعدها إلى الشَّام، ولكن قدّرالله أن أبقى في الكويت.

وقد التقيت بالشيخ عبد الرحمن الدوسري وهو عالم مشهور – رحمة الله عليه –، ونصحني بوجوب البقاء في الكويت، وأمرني بمرافقة الشيخ عبد الرزاق الصالح – رحمه الله – وكان رئيسا لجمعية الإصلاح – إلى وزارة الأوقاف حيث قدَّمني للإمامة والخطابة، وبحمدالله بقيت على هذا حتى يومنا مع انتقالي في أثناء ذلك إلى العمل بالتدريس.

إحياء سُنَّة صلاة التراويح

كنت قد توقفت عن المسجد بسبب أداء صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة، نصلي ثماني ركعات ونوتر بثلاث، ونقرأ جزءاً كاملا من القرآن، في مسجد (ملا صالح) الذي في شارع فهد السالم (شارع الجهراء)، وذلك في سنة 1386هـ - 1966م في منطقة المرقاب، وكان لا يزال في المرقاب بعض البيوت السكنية وقبل أن تتحول بكاملها إلى البناء الاستثماري.

فكان من الغريب أن يصلي أحد بجزء كامل في صلاة التراويح، مما يحدث ضجة بعد الركعتين الأوليين، وبحمد لله استمرت الصلاة في بدا يـة الأمر، ولم يكن هناك اعتراض من وزارة الأوقاف في بداية هذا الأمر ولكن لما انتشرت هذه السنة في كثير من المساجد رفع بعض الناس شكواهم إلى الوزارة، وكان من جراء ذلك إقالتي وإعفائي من الإمامة والخطابة.

وناقشني بعض المسئولين فيها فقلت له: صلاة التراويح بإحدى عشرة ركعة صورة من صور الصلاة المشروعة، وليس في السُّنَّة تحديد عدد معين، فقد صلاها المسلمون إحدى عشرة ركعة في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- بأمر من عمر بن الخطاب خلف أبيِ بن كعب، وعشرين ركعة وعشرين ركعة فيمن بعدهم، وستًّا وثلاثين في عهد الأمام مالك، كما صلّيت عشرين في مكة والعراق والأمصار، وصلّيت ستاً وثلاثين ركعة

في المدينة، وثلاثاً وخمسين ركعة في بيت المقدس، ولكن الرسول – صلى ﷺ–لم يزد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة كما هو في ركعة كما هو في حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– في الصحيحين؛ الصحيحين؛ فلماذا لا يكون في الكويت ولو مسجدا واحدا يصلي التراويح بإحدى عشرة ركعة ؟! وإذا كان أهل المسجد كلّهم يحبُّون هذه الصلاة، ومتَّفقون عليها، فكيف لكم أن توقفوها؟!.

ثم إن المساجد التي صليت فيها لم يذهب منها أحد – فيما أعلم – إلى الوزارة ليشتكي، بل كان يأتي المصلون من أنحاء الكويت: من الفحيحيل ومن الأحمدي ومن كل مكان، حيث يأكلون لقيمات قليلة ويأتون لصلاة التراويح، فيمتلئ المسجد عن آخره؛ لأنه المسجد الوحيد الذي يصلي هذه الصلاة.

فلما اشتدّ الضغط وأراد بعض الإخوة في بعض مناطق الكويت أن يصلوا كذلك، وصاروا يقولون: لماذا لا تمنعون عبد الرحمن عبد الخالق وتمنعوننا نحن؟

فاضطرت الوزارة حسماً للموضوع أن تجعلني أمام خيارين: إما أن أصلي عشرين ركعة مثل سائر الناس، أو أترك المسجد، ولما كنت متطوعا ولست موظفا رسميا في الوزارة وجدت أن المصلحة الأرجح في ترك المسجد.

وقلت للإخوة الذين ناقشوني في الوزارة: لا ينبغي لكم أن تقتلوا هذه السُّنة، ولست أقول إن صلاة العشرين غير جائزة لكنها خلاف

الأولى، والصلاة بإحدى عشرة ركعة ليست شيئا غير مشروع، فا تركوا الناس لتصلي هذه الصلاة؛ فقالوا: هذا حلٌّ نهائي، فإما أن تختار العشرين ويبقى معك المسجد، وإما أن تترك المسجد، فآثرت ترك الإمامة حتى ييسرالله الأمر مستقبلا.

وبقيت فترة دون مسجد؛ وفي هذه الفترة فتح لنا أحدَ الإخوة بيته لصلاة القيام، وكذلك صلينا التراويح في أماكن كثيرة متفرقة كمدرسة النجاة وثانوية الأصمعي حتى يسَّرالله وعادت هذه السنة إلى المساجد مرة ثانية.

الدعوة إلى الله من خلال الخطابة

كانت أول خطبة لي بالمدينة المنورة بعد الثانوية العامة، ثم لما جئت الكويت عملت شهرين في وزارة الأوقاف، وأخذت مسجداً، ثم استأذنت من الإخوة في وزارة الأوقاف أن يسمحوا لي ببقاء المسجد عندي بعدما تحولت إلى التربية.

ومنذ سنة 1385هـ الموافق 1965م – تقريباً – إلى اليوم أخطب – بحمدالله – بصورة مستمرة في المساجد، وقد توقّفت في بعض الفترات ولكن ليس توقيفا رسميا.

الخطبة التي أثارت الناس

الخطبة التي أثارت الناس هي الخطبة التي كانت في يوم الجمعة التي سبقت هزيمة الرابع من حزيران 1967م، وكنت أخطب في مسجد الصانع على شارع تونس في حولي، وفي هذه الجمعة كنت قلت للناس: إن الرئيس جمال عبد الناصر أغلق مضائق (تيران) خليج العقبة، وإن موشي ديان اعتبر أن إغلاق مضائق (تيران) يعني الحرب، وصار يهدّد بالحرب.

وسرت روح أو نشوة هائلة في أوساط الناس والعرب في المنطقة كلها، وأن حرب تحرير فلسطين أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وأن اليهود لن يتحملوا أكثر من ساعتين، وكان الناس مغرَّرين بالدعاية الكبيرة التي بثها عبد الناصر فيهم، وأن عنده صواريخ تستطيع تدمير إسرائيل، وأن عنده جيش عرمرم، وعنده... وعنده....

كنت من المتابعين لحقائق الأمور، وكنت أعلم أن هذا كله إنما هو جعجعة وليس له حقيقة، وأن الحرب إذا قامت ستكون هزيمة ساحقة، وكان الناس في نشوة ويهنئ بعضهم بعضاً، وأنَّ إسرائيل لن تأخذ أكثر من ساعتين وستدخلها الجيوش العربية، بل إنَّ بعضهم قال سيكون اللقاء في تل أبيب واللقاء في يافا، وقال أحدهم: "أنا أعرف يافا جيداً وسآخذكم إلى طرقها"، والبعض كان ينتظر تذكرة المسرح لحضور حفل أم كلثوم الذي ستحييه في تل أبيب.

فكان هذا هو الذي لا يكاد يختلف عليه أحد في الشارع العربي، فكونه يقوم أحدهم في المسجد قبل الهزيمة ويقول: إن عبد الناصر أغلق خليج العقبة، وموشي ديان قال: إغلاق خليج العقبة يعني الحرب...والكل ينتظر الحرب...وأنتم تفكرون أنكم ستنتصرون بعد ساعتين ولكني أقول: إن العرب في هذه الحرب سيهزمون هزيمة لم يحدث مثلها قط.

وقلت: إذا انتصر العرب في هذه الحرب فأحد أمرين: إما أني رجل مجنون؛ وإما أن سنن‌الله سوف تتغير؛ ولا أعتقد أن سنن‌الله سوف تتغير، وكذلك لا أظن أني مجنون، أما الانتصار فمستحيل.

ولما نزلت سكت الناس على مضض شديد، وكان من بين الحاضرين كثير من المحبين، لكن الصورة العامة هي استهجان لهذه الخطبة، ولكن لم يتجرأ أحد في أن يقوم بتشويش، وانتهت الخطبة بسلام.

قامت الحرب يوم الأحد، أي بعد يومين من الخطبة، وأول يوم صدرت فيه البيانات الكبرى جاء فيه: أسقطنا 100طائرة ، 150طائرة ... 200... 300... 400 طائرة... دخلنا عشرة كيلومترات داخل فلسطين، أما ثاني يوم فكانت البيانات فيه أنهم لا يزالون في مكانهم.

ثم صار إسقاط الطيران ليس له عدد، مع أنَّ إسرائيل ليس عندها أكثر من أربعمائة وخمسين طائرة، والآن صارت أعداداً هائلة!

وثالث يوم من الحرب كان يوم الثلاثاء، وقد بدأت تتبيَّن فيه بعض بيانات الضَّعف، وأنَّ الجيوش لا تزال في محلّها، والتقدم هو عشرة كيلومترات، والناس كانت تقول ستنتهي الحرب في ساعتين وصارت ثلاثة أيام ولم ندخل تل أبيب بعد!

وفي يوم الأربعاء بانت الهزيمة، وفي يوم الخميس ظهر لكل أحد أنه قد تحقق للأمة العربية هزيمة حقيقية، ويوم الجمعة ظهر الأمر لكل ذي عينين، وأنه قد سقطت الضفة الغربية كلها، وأن الجولان سقطت، وأن الجيش المصري اندحر إلى القناة.

حضرت إلى صلاة الجمعة وبدأت الخطبة قائلا: ذكرت لكم في الجمعة التي سبقت أن العرب لن ينتصروا في هذه المعركة، وأنه لو كان نصر لكان هذا يعني تبديلاً للسنن الإلهية الجارية، ولم أكن أعلم الغيب، ولكن لا يمكن في سنن الله أن تنتصر أمة وهي على هذه الحال التي عليها العرب اليوم، وقد رأيتم الحقائق ماثلة أمامكم، وهزمنا هزيمة ربما لم تهزم الأمة مثلها من قبل...

أما اليهود فقد انتصروا لأنهم متآلفين متعاضدين، لهم هدف يعملون له، وعقيدة يعملون من خلالها، وللأسف أن جنودنا لما دخلوا سيناء أول ما وزّعوا عليهم - باعتراف جريدة الأهرام - صوراً لبعض المطربين والممثلات والراقصات، فرفضوا هذه الصور وقالوا: يا جماعة؛ نحن ذاهبون للموت فأعطونا مصاحف، فنحن نريد مصاحف، ولكن لم يكن لديهم - في ذلك الوقت — مصاحف!

ثم للأسف – وهذا مما نشروه – أنهم احتفلوا بالنصر قبل بدء الحرب بالخمر والنساء في مطارات سيناء.

فقلت لهم: أناس يحتفلون بالنصر شرباً للخمور ومعاقرة للفساد وقبل أن تبدأ الحرب؛ هل يمكن أنالله ينصرهم؟!

وما أن قلت هذا الكلام حتى قام أحد المصلين وصرخ من آخر الصفوف وقال: "هذا كافر ولا تصلّوا وراءه"... وهاج المسجد.

ثم تصرفت في الخطبة وختمت بصورة سريعة، فخاف بعض الإخوة الذين يصلون في المسجد أن يحصل عدوان فاتصلوا بشرطة النجدة فكانت حاضرة عند نهاية الصلاة، واستدعيت إلى المخفر وفتحوا معي تحقيقا، فقلت لهم ما تكلّمت به في الخطبة السابقة وهذه الخطبة قلت للناس كذا وكذا؛ وأنّ من مهمّتي أنْ أُبين للناس حقائق الأمور.

فقالوا: لكن الكلام الذي قلته شديد، فكيف تقابل الناس بهذا؟!

فقلت: هذه القضايا حقائق، والمسلم لا بد أن يكون ناصحا لأمته ولا يغشَّهم، فكان لا بدَّ أن أُبيّن لهم.

فقالوا: أنت تعرف الناسَ الآن... وكان الناس في ذهول تام، حتى أنها تمشي ليست معها عقولها، والكل في وجهه سواد وانكسار وذلّ بعد هذا التضليل الإعلامي.

بداية الصحوة الإسلامية

وكانت هذه الهزيمة بداية ما يسمى بالصحوة الإسلامية.

ثم خطبت بعد ذلك خطبا وقلت فيها: إن هذه الصحوة مثل المطر الذي نزل على أرض يابسة، لأن النَّاس أفاقوا، وكثير ممن كان لا يدخل المسجد بدءوا يتجهون إلى المساجد.

وبدأ الناس يعودون إلى الله ويتراجعون عن الخط الخاطئ الذي مشوا فيه بعد هذه السنوات الطوال، بعدما أفسد جمال عبد الناصر عقول وشباب الأمة، وسارت وراءه إلى القومية، ولو قلت أيَّ شيء فيه فأنت يهودي، وتوصف بأنك عميل للصهيونية، فلما جاءت هذه الحرب رفعت القناع عن أوجه الناس، وبدأت الناس تستمع لمن يحدثها باسم الدين وباسم الإسلام من جديد.

اختيار الخطبة وإعدادها

الخطابة هم أظل حاملاً إياه طيلة الأسبوع، ما الذي سأتكلم فيه؟ ولكنني أحياناً لا أهتدي إلى الفكرة التي يجب أن تقال إلا في الساعات الأخيرة، وأحياناً في اللحظات الأخيرة، وأحياناً أجلس وأقول السلام عليكم ورحمةالله، ولا أعرف ما الذي سأتكلم في هذه الخطبة، ثم يفتحالله تبارك وتعالى بالخير، وبأمور ما كنت أعلمها، ولا كنت زورتها في نفسي، ولا حضرتها قبل أن أقف هذا المقام.

خطبي إنما هي خطب تشرح الواقع الذي تمر فيه الأمة، فتبصر الناس في واقعهم، وخطب أخرى علميَّة منهجيَّة في أصول الدِّين وقضايا التَّوحيد ومسائل الإيمان، ومسائل الأخلاق، وهي ما أحبَ أن أركّز عليها كثيراً، وكذلك في الأحكام الفقهية التي يحتاجها الناس خاصة إذا حان وقتها، فلا بد من بيان أحكام الصوم إذا جاء رمضان، وأحكام الحج لمن يريد أن يتوجه للحج، وأحكام الزكاة في أوقاتها، وأهل الكويت عامتهم يخرجون الزكاة في رمضان، فلابد من بيان أحكام الزكاة للناس حينئذ، وأحكام الأضحية في وقت الأضحية.

والأحكام الفقهية التي يحتاجها الناس سهلة في تحضيرها وذلك بالرجوع للقرآن والسنة وأقوال أهل العلم، فالخطب العلمية سهلة ومريحة، والخطيب لديه فرصة في تحضيرها طيلة الأسبوع، بل يقدر أن يحضر لأكثر من أسابيع وشهور.

أما الخطبة التي هي خطبة الوقت، وخطبة المشكلة والنازلة التي تحصل للمسلمين، ويحتاج المسلمون فيها إلى الرأي فهي الخطبة العسيرة والشاقة، وهي التي تعصر الإنسان عصراً، كما ذكرنا مثالاً بقضية حرب ا لـ67م وغيرها، لأن المسلمين في نازلة ويريدون من الخطيب أن يبصرهم لماذا حصل هذا ؟! كما حصل في حرب العدوان العراقي على الكويت، والفتنة التي صارت بين الشعوب الإسلامية، وموقف الجماعات الإسلامية.

ظهرت عند الناس تساؤلات مثل: ما هو التفسير الإلهي لهذا؟ كما كان أهل الكويت يقولون: لماذا ابتلانا الله بهذه المصيبة وبهذه الكارثة؟ هل هذا بذنوبنا؟ هل نحن نستحق ذلك؟ ولماذا كانت المصيبة على هذا النحو؟ ولماذا تصرف الناس معنا هذا التصرف من مسلمين ومن شعوب؟ وأين الناس الذين كان بيننا وبينهم مودة وعطف؟ فلماذا تنكروا لنا هكذا؟.

فهذه نازلة وقعت بالمسلمين، والناس تحتاج من الخطيب الذي يصعد المنبر أن يجيب على تساؤلاتها في مثل هذه الأحداث، وإلا فيمكن أن يشكّوا في إيمانهم بالله تبارك وتعالى، ويمكن أن تتدمر أحكام الدين لديهم، كمفهوم الولاء والبراء.

فقضية المسلم الذي يجب أن تواليه وإن عاداك، والكافر الذي يجب أن تعاديه وإن أحسن إليك، فإن الكافر قد يكون له موقف حسن فيوضع في مكانه، ولا يعمم هذا الموقف الحسن فترضى عن عقيدته وعن

وعن منهجه وعن دينه وبهذا تنسلخ من الدين.

وكذلك المسلم إذا أساء إليك فليس معنى هذا أن يتعدّى الأمر إلى إسلامه، فتتنكّر لدينه ومبدئه وعقيدته وتسب كل ما هو عليه، بل تحصر عداوتك معه في الظلم الذي وقع منه، وتعلم أن المسلم يمكن أن يقع منه ظلم، وهذا ليس معناه أنه نابع من الدين، فالدين لا يأمر بالظلم؛ وإنما هذا نابع من الشخص، وهو انحراف شخصي، والمسلم ليس مبرأ من أن ينحرف فيظلم ويطغى، بل قد يقتل إخوانه من المسلمين.

فالخطبة عندما تكون لتفسير نازلة وتوجيه الناس في محنة أو مشكلة هي من أصعب الخطب على الخطيب الذي يهتم بتبصير الناس، وإعداد هذه الخطبة ليس في الكتب، وإنما يحتاج الخطيب في إعدادها إلى بصيرة وإلى فقه وإلى فهم، فيرجع إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال أهل العلم، ولكن هنا لا بدّ أن تفهم هذه الآيات على ضوء هذا الواقع الموجود و تنزّل منازلها الصحيحة، فلا تنزَّل آيات الكفار عل المؤمنين، ولا آيات المؤمنين على الكفار، ويضع الإنسان كل شيء في نصابه، وإن كان هذا من أصعب الأمور.

الدعوة إلى الله من خلال الصحافة

بدأت الكتابة في الصحف مبكراً في الكويت، وكنت أرسل المقالات إلى بعض الصحف، وكانت الصحيفة اليومية الكويتية الوحيدة آنذاك هي (الرأي العام)، أما (السياسة) فكانت مجلة دينيَّة أسبوعية ليست على الصورة التي يعرفها الناس، ثم اشتُريت وتحولت إلى جريدة يومية.

،كانت أشد صحيفة كويتية على الإسلاميين هي صحيفة (الطليعة) اليسارية والتي لها جمهور، حيث كان اليساريون هم المسيطرون على الساحة، وبعضهم يكتب كتابة كالسم الناقع.

وكانت الشخصية الدينية يعبر عنها بـ(الملا صالح)، وهو الشخصية الهزلية التي كان الكاريكاتير الأساسي يدور عليها، وهو الشخص الذي يملك عصا، وله لحية، ولباسه مبهدل، وكل أموره جهل في جهل.

فكنت عندما تقرأ في هذه الصحف تجد أن المسلم يموت كل يوم من القهر واللمز والغمز للإسلاميين، مع العلم أنه لم يكن - في ذلك الوقت - شيء اسمه واقع إسلامي، لكن كانت هذه هي سنّة اليساريين والقوميين قبل حرب الـ67، وكان عندهم نادي الاستقلال الذي مكانه الآن نادي المعوقين في أعلى شارع المغرب من أنشط الأندية العقائدية والثقافية... وقد كان لي ردود عليهم في الصحافة.

بداية الكتابة الدينية في الصحف

بدأ الخط الإسلامي يسير في السبعينات، وجاءت أول صحيفة أفردت صفحة للفكر الديني وهي صحيفة (الأهرام) متأثرة بالصحافة الغربية، لأن الصحافة الغربية تخصص صفحة للدين مثل مجلة (التايمز) و(النيوزويك)، وهذا من باب استكمال الشكل الصحفي.

ولأن الدين اهتمام من اهتمامات الناس، مثل الرياضة والقضايا الاجتماعية والفن...إلخ، فلماذا لا يكون في الصحيفة صفحة تهتم بالشؤون الدينية حتى تستكمل الصحيفة العصرية كل مناحي الحياة.

فلما عملت صحيفة (الأهرام) هذه الصفحة كانت أول صحيفة قلدها بل نقل هذه الصفحة بنصها هي صحيفة (السياسة) من باب الخدمة الصحفية لجمهور معين، وإن كان قليلاً، لكنها خدمة صحفية ينبغي أن تقدم.

الصفحة الدينية في (الوطن)

كان هناك تنافس بين الصحف فأرادت (الوطن) أن تؤدي هذه الخدمة لجمهورها وقرائها، وخاصة أنها صحيفة ناشئة تحب أن تكسب الجمهور.

وبحكم الصداقة بين الأخ جاسم المطوع - رحمه الله - وهو مدير التحرير والأخ عبد الملك الكليب - وكانا زملاء دراسة في الإسكندرية - دعاه أن يتولى الصفحة الدينية، فاعتذر الأخ عبد الملك عن تولي الصفحة وقال: "أنا آتي بشخص يتولى هذا الأمر"، وجاء فكلمني الأخ عبد الملك فوجدت أن هذا باباً من أبواب الخير، ولا ينبغي للإنسان أن يحجم عنه.

التقيت بالأخ جاسم المطوع وأخذت الصفحة، ولكني أخذتها منه بشروط:

أولاً: إن الدّين شيء كبير وواسع، وفيه توجهات كثيرة، وأشياء منسوبة للدين ليست منه، ففيه أفكار باطنية، وفيه فكر صوفي، وفيه أنواع من الشرك، وأنواع من البدع، كلها تنشر باسم الدين، ولا أرضى أن أشرف على شيء يقدم ديناً مغشوشاً وديناً مغلوطاً للناس، فشرطي لتولي هذه الصفحة أن لا ينشر فيها إلا ما أرتضيه.

ثانيا: أني لا أنشر إلا ما أراه فقط؛ بل أنشر الرأي الآخر، ولي الحق في الرد عليه، فقد يأتي للصحيفة رد من شخص يخالفني، فلا بأس أن

ينشر على أن يكون لي الحق في أن أرد عليه.

فأعطوني الصفحة بهذه الشروط، ووجدت في (الوطن) أنهم يطبقون كلمة الحرية للغير بصورة طيبة، وتحملوني ثماني سنوات، فأعطوني صفحة، وأحياناً في رمضان صفحتين، وأحياناً مقالات أخرى إذا حصل شيء يستحق الكتابة الدينية في غير يوم الصفحة الدينية، وهو يوم الجمعة، كذلك كان لي الحق أن أنزل مقالاً في غد يوم الجمعة.

فكانت - ولله الحمد - هذه الصفحة في (الوطن) مدرسة للشباب، وتربى بها مجموعة من الشباب الذين برزوا للمجتمع الكويتي على أنهم كتّاب إسلاميون، وحرصت على أن الأقلام الكويتية تكتب وتعرف للناس، فكانت هذه الصفحة أو الصفحتين عبارة عن مجلة مستقلة.

ومن المقالات التي كنت أكتبها فيها (منبر الجمعة)، وهو عبارة عن مقال سياسي ديني يفسر الأحداث بالصورة الشرعية، وقد جمعت جزءاً من هذه المقالات - بحمدالله - ونشرتها في كتاب (أضواء على أوضاعنا السياسية)... وكان منها قضايا اجتماعية، وقضايا اقتصادية، وقضايا عبادية، وقضايا عقائدية، وكل ما هو من شأن الدين الشمولي الذي هو عبارة عن تنظيم حياة الناس كلها على سطح الأرض.

قدمت من خلال مجموعة هذه المقالات خدمة من أعظم الخدمات، والتي كان لها إسهام عظيم في توجيه الناس وتعريفهم بالدين..و(الوطن) خدمتنا في أنها كانت تبلّغ صوتنا إلى بلدان لم نكن لنصلها، وكانت تأتينا الردود من اليابان ومن أمريكا، ومن أماكن كثيرة من العالم.

الكتابة في مجلة (المجتمع)

و قبل هذا كنت أكتب مقالاً دائماً في مجلة (المجتمع)، بل كانت أول كتابة صحفية لي في مجلة (المجتمع)، حيث كتبت فيها سلسلة أو عدة سلاسل، وأول سلسلة كتبتها (منهج جديد لدراسة التوحيد)، وهو كتاب منهجي لدراسة التوحيد.

وكتبت فيها سلسلة (الشورى في ظل الحكم الإسلامي)، كما كتبت فيها سلسلة عن حضارة الإسلام، ومجموعة من المقالات التي صدرت فيما بعد كتباً.

الكتابة في مجلة (الفرقان)

أما مجلة (الفرقان) فبالرغم من أنَّ عمرها الزمني قليل إلا أنها تسدّ ثغرة عظيمة في الصحافة الإسلامية الواعية المستنيرة التي تنقل الخبر وتحلّله وتفهمه على ضوء من الكتاب والسـنـة، وتبصر المسلمين بواقعهم المعاصـر.

و قد بدأت فصليَّة ثم شهريَّة، واستمرَّت على هذا وقتا طويلا لا تسعف قُـرَّاءها بتفسير الأحداث المتعاقبة، ولذلك تَـعسَّرت في الانتشار عالميًّا، ثم أصبحت مجلة أسبوعيَّة بعد ذلك.

ولي فيها مقالات مختلفة أحياناً كثيرة.

الدعوة إلى الله من خلال شبكة الإنترنت

[كلمة الترحيب في موقع الشبكة السلفية، و الشيخ – حفظه‌الله – هو المشرف على هذا الموقع]

إلى كل الناس في كل مكان: هذه رسالة صدق، تحمل الكلمة الهادية التي تدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم ودينه القويم، الذي بعث به خاتم رسله مُحَمَّد بن عبدالله إلى الناس أجمعين.

و هذه أيها الأخوة هي (الشبكة السلفية) تحمل الكلمة المستنيرة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى، عملاً بقوله تعالى:

﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل:125].

سيجد إن شاءالله كل ضيف يفد على هذه الشبكة الكتب العلمية، والمكتبة العامرة بعلوم الكتاب والسُّنة.

وسيجد إن شاءالله إخوة الصدق الذين يجتمعون على الحب والموالاة في‌الله.

وسيجد إن شاء الله كل سائل بحق ومستفت ومستفسر طلبته وهدفه.

وسيجد كل من يبحث عن الهداية والسعادة مهما كانت عقيدته ودينه دلالةً على الطريق الذي يحقق ذلك؛

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:15-16].

إَخوانِي فِيَ كُل مكان: لقد سمَّينا هذه الشبكة باسم (الشبكة السلفية)، لأن هذه تسمية شريفة، لأن السلف الصالح وهم أصحاب النبيمُحَمَّد -ﷺ- ومن تبعهم بإحسان، والصحابة هم أولى الأمة بفهم الدين والعمل به؛ وذلك لشهادةالله ورسوله لهم بالخير والفضل.

والنسبة إليهم تشريف لنا، وتعريف بأننا نأخذ بالكتاب والسُّنة، وما أجمعت عليه الأمة، ونعتقد ما كان يعتقده الصحابة رضوانالله عليهم، ونجعله مثلنا الأعلى في الإيمان والعلم، والجهاد، والخلق، ونقتفي آثارهم، لنكون ممن قالالله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأَيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحَشر:10].

وَقال فيهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:100].

إخواني في كَلَ مكَان: هذه (الشبكة السلفَية) تحمل الهداية والخير، وسنرحب بكل مشاركة ومساهمة، وسنتعاون مع كل من يمد إلينا يده

بالعون وصولا إلى تقوىالله، وعمل الخير، ونفع الناس، وسنفرح كذلك كذلك بكل نقد وتقويم، وسنعمل دائما بحولالله على تصحيح المسار، وإزالة العثار.

وختاما فأهلا بكم من كل مكان، وسلامالله ورحمته و بركاته دائما وأبدا على أهل الإيمان والإسلام.

عقبات في طريق الدعوة

تعترض طريق الدعوة فتن وعقبات، وهذه هي طبيعة الطريق، قال تعالى: ﴿ **الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهم لا يفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذينَ من قَبْلهم فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الذين صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذبينَ** ﴾ [العنكَبوت:2-3] .

وَنستطيع أن نصنف الفتن التي تعترض الدعوة إلى قسمين، قسم من داخل المسلمين أنفسهم، وقسم من خارجهم ومن أعدائهم.

والفتن الداخلية أصعب وأشدُّ من الفتن الخارجية؛ فإن الفتن الخارجية سواء كانت من منافقين علمانيين أو يساريين فإن مثل هذا لا يستغرب، وماذا تتصور ممّن يخالفك في المعتقد والتوجه؟! وهل تتصور منهم إلا الأذى؟! وقد أخبرنا الله -تبارك وتعالى- بهذا، ولكن الفتن الداخلية هي التي تكون شديدة وصعبة على الداعية إلى الله.

فتنة تكفير المسلمين وادّعاء المهديّة

من الفتن التي جابهت الدعوة فتنة (جهيمان) وتكفير المسلمين، وهي الفتنة التي أثمرت المجموعة التي خرجت مع (جهيمان) في الحرم عام 1400هـ، وجرت المسلمين إلى هذه الكارثة التي وقعت في الحرم.

كنت من أول من كتب وألقى دروسا في انحراف هذا الفكر ومخاطره وضلاله، وبالتالي فقد توجهت لي سهام النقد والتضليل والتكفير والتبديع.

وهذا الفكر بحكم اشتغالي بالدعوة كنت أطالع فيه كل ما يمكن الوصول إليه أو تقع عليه يدي، سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين؛ مما قد يكون مؤثّرا في التعرُّف على أفكار المجموعات والتوجهات الإسلامية المخالفة للإسلام، ولا بدّ لكل داعية من هذا الاطلاع على ما يدور في الساحة.

وأول كتاب صدر لجهيمان هو (رفع الالتباس عن ملة إبراهيم وبيان اختلاف الإخوان أهل المدينة عن سائر الجماعات الأخرى)، فقرأت هذا الكتاب ورأيت أنه فكر سيؤدي إلى الخروج عن جماعة المسلمين، وسيؤدي إلى كارثة، ونصحت للذين تأثّروا بهذا الفكر، وجلست مع كثير منهم جلسات طويلة.

وكتبت في (الوطن) مجموعة من المقالات والخطب والدروس في بيان خطأ هذا التو جـه والتحذ يـر منه.

وكان هذا الفكر قد نبع في المدينة المنورة، وهو عبارة عن تلاق بين أفكار (التكفير والهجرة) التي نشأت في سجون مصر وبين مجموعة كانت تتبع دعوياً للشيخ أبي بكر الجزائري، وكان قد طَلَب من الشيخ ابن باز – رحمه‌الله – أن يعمل ما يشبه الجمعية الخيرية للدعوة، فسمح له بعمل بيت في المدينة سموه (بيت الدعوة) بإشراف الشيخ ابن باز، وينوب عنه الشيخ أبو بكر الجزائري، وكان هذا بيتاً لطلاب العلم يجتمعون فيه، ويخرجون منه إلى القرى لدعوتهم.

ثم لما بدأ يأتي بعض الشباب المتأثرين ببعض الأفكار التي نشأت عما يسمى بـ(التكفير والهجرة) من مصر، وينزلون عند هؤلاء في البيت (بيت الدعوة) الذي كان في الحرة الشرقية؛ صار بينهم تلاق فكري، فأخذ بعضهم من بعض.

الغُلوّ عند جماعة (جهيمان)

فبدأت قضيَّة رفض المجتمع، وأول ما جاءهم من الأفكار التي فيها الغلو هو تحريم العمل في الجيش، وتحريم العمل في الـ شـرطة، وتحريم العمل في الحكومة، ثم التشدّد في قضية الصور، بل حتى الصورة المطبوعة على الأوراق النقدية، والصور المطبوعة على الجوازات، وفي الهويات، والفهم لخاطئ في تطبيق الأحكام الشرعية، والاهتمام بالغرائب.

ومن هذه الغرائب التي كانوا يتمسَّكون فيها الصَّلاة بالنِّعال، فكانوا يريدون تطبيق سنة الصلاة بالنعال على أي الصور، فيدخلَون في الحرم ويصلُّون بالنعال، وكان بعضهم إذا جاء إلى مساجد الكويت لابدّ أن يصلي بالنعال، بل كان بعضهم إمعاناً فيما يظن أنه الـ سُّـنَّة يأتي فيمشي حافياً في الطريق ويحمل نعاله تحت إبطه ثم إذا جاء إلى المسجد لبس نعليه ودخل المسجد.

وقد ناقشت بعضهم في أن هذا ليس من الفقه، فهذه المساجد نَظفت وفُرشت؛ ودخولك بالنعال على الأقل يقذّر المسجد، وسيسبب المشاكل مع المصلين؛ فيقول لي أحدهم: "شيلو الفرش"!

فكان الرد منهم أنك طاغوت؛ لأنك تحارب سـنَّـة ر سـول الله - ﷺ -.

وكان بعض الناس الذين يذهبون إلى المدينة للزيارة يلتقي بهم ويأتي بهذه الأفكار منهم إلى الكويت، ولا همَّ لهم إلا حرب الجماعة السلفية

الناشئة، وكانت الدعوة غضّة طرية ما استوى عود الشباب، ولا عرفوا الدين بصورة شمولية، ولا عرفوا أحكامه وتفقهوا فيه.

فيأتون إلى الشاب السلفي فيقولون له: أنت سلفي لا تتبع الدليل! ألم يكن الرسول-ﷺ- يصلي بالنعال؟ ألم يكن الرسول حافيا؟ أليست هذه الصورة حراما؟!... فكيف تحمل النقود معك وعليها صورة؟! فبعضهم صار يترك النقود ولا يحمل إلا الخردة، ثم أخذوا جوازاتهم ومزقوها...

وقالوا إنَّ المدارس هذه للطواغيت، ويعلمون فيها علوم الكفرة، ويعلّم فيها معلم يشرب الدخان، وحالق اللحيةوالله عز وجل يقول: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** ﴾ [الأنعام: من الآية 68]؛ وهؤلاء يخوضون في آيات الله...

وكان من نتيجة ذلك أنْ ترك كثير من الطلاب مدارسهم، ومزقوا هوياتهم، وتركوا حمل النقود الورقية، وشرعوا في استعمال النقود المعدنية، إلى آخر هذه الأمور... وصرنا نلاحق هذه الفتنة التي عصفت بالدَّعوة وبالشَّباب النَّاشئ، والذي صار يأتي كلَّ يوم بجديد من هذا الفكر المنحرف، والذي يجعل اتباع إشارات المرور نوعا من اتباع حكم الطاغوت، وإذا ناقشتهم فإنك ستجادل في البديهيات بقولهم: أعطني دليلاً على أنه يجب التقيُّد بإشارات المرور!.

مناظرة مع (جهيمان بن سعيد)

في موسم الحج من عام 1398هـ الموافق لـ1978م ناقشت (جهيمان)، ولم أكن أعرفه؛ وإنما عرفت أن الذي ناقشته هو (جهيمان) فيما بعد، حيث كان بعض الطلاب من شباب أهل المدينة عندهم مخيم في منى، وكنت حاجا في هذه السنة مع بعض الإخوة.

دعينا إلى مخيم هؤلاء الشباب، فوجدت أحدهم ينادي في الجموع: الأمير يأمركم بكذا... ويأمركم بكذا... ولم تعجبني هذه الصورة، ووجدت شباباً صغار السن، اثنتي عشرة سنة وثلاث عشرة سنة وعشرين سنة، جالسين في شراع طويل، وهو مسجد يصلون فيه.

ومن جملة ما قال: أي شخص عنده فتوى فهناك شباب للفتوى، فوجدت أن الذين جلسوا للفتيا من الشباب الصغار، فهالني هذا الأمر، فإن الحاجَّ يأتي وعنده مسائل في أشياء كثيرة تحتاج من أهل العلم الراسخين من يجيب عليها.

صليت معهم المغرب وقالوا لي: تكلّم كلمة؛ فتكلمت كلمة في وجوب اتباع الحكمة في الدعوة إلى‌الله، نحو عشر دقائق أو ربع ساعة في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: من الآية125]؛ فلما كان (جهيمان) حاضراً حصل النقاش الآتي:

قال جهيمان: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾

[البقرة: من الآية130]، وهو يعني: أن الحكمة إنما هي في تحطيم الأصنام، وإن من ملة إبراهيم تحطيم الأصنام من بداية الأمر كما فعل.

فقلت له: أولاً: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ ملة إبراهيم هنا ليس معناها سياسة الدعوة، وإنما المقصود بها التوحيد وترك الشرك، أما سياسة الدعوة فنحن مأمورون فيها باتباع سياسة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وليس باتباع السياسة التي اتبعها إبراهيم، ولو كانت هذه الآية في سياسة الدعوة فسيكون أول من يرغب عن سياسة إبراهيم – عليه السلام – هو نبينا محمد –ﷺ–، واعتقاد هذا كفر، فإن الرسول –ﷺ– نشأ في مكة، وأنزلت عليه الرسالة ومكة تعجُّ بالأصنام، ومع ذلك لم يكسر صنماً، ومكث ثلاث عشرة سنة لم يثبت أنه حطّم صنماً، ولا حتى نقله من مكانه، وكان عنده من المسلمين كثير بحيث من الممكن أن يأمرهم فيسرقوا الأصنام ثم يحطموها في الليل، بل كان يصلي إلى بيت المقدس لأن القبلة ما غُيّرت إلا في المدينة، وكان يضع الكعبة بينه وبين بيت المقدس، وحول الكَعبة ثلاثمائة وستون صنماً.

وكذلك هاجر الرَّسول –ﷺ– إلى المدينة وتوجَّه فيها بالصَّلاة إلى فيها بالصَّلاة إلى الكعبة وحولها الأصنام، وذهب بالسنة السادسة من هجرته لأداء العمرة وكانت والكعبة مليئة بالأصنام، بل كان الطواف بين الصفا والمروة و(إساف) على الصفا و(نائلة) على المروة، وكان قد مُنع ثم سُمِح له حسب العهد الذي وقّعه مع قريش بالعمرة من العام

القادم.

وذهب النَّبي -ﷺ- ومعه ألف وأربعمائة شخص، وطافوا بالبيت وعليه الأصنام، وطافوا بين الصفا والمروة و(إساف) و(نائلة) موجودان كما هما ولم يحطموا صنماً واحداً.

وإنما حطَّم النبي -ﷺ- الأصنام في السَّنة الثامنة لما دخل مكة منتصراً، فكان يضرب الصنم بر محه ويقول:

﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [الإسراء: من الآية81] فينزل ويتكسر.

فإذا جمعت ثمانية مع ثلاثةَ عشرةَ تجد أن الرسول -ﷺ- جلس إحدى وعشرين سنة وهو يدعو إلى الله ولم يحطّم صنماً، إلى أن جاء الوقت الذي حطّمها فيه ووضعها تحت قدمه.

فهذه هي السياسة الشرعية النبوية، والتي نحن ملزمون باتّباعها، أما سياسة إبراهيم - عليه السلام - عندما كان وحده وحطّمَ الأصنام، فهذا شرعه، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا إذا جاء في شرعنا ما يخالفه. فلما قلت هذا الكلام انقطع.

وقد كانت هذه المحنة من المحن الكبرى التي واجهت الدعوة، وظلت آثارها ممتدة إلى وقت طويل.

ضوابط التبديع عند أهل السنة والجماعة

نَقْدَ الأشخاص والحكم عليهم قضية كبيرة لها أصولها وضوابطها، فليس كل متكلّم فيه فهو كما تُكلّم فيه.

فأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وهم خيار هذه الأمة بعد النبي ﷺ-، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة في معتقد أهل السنة والجماعة، ومع ذلك وجد من تكلّم فيهم، فقد قيل لعائشة -رضي الله عنها-: إن هناك أناساً يسبُّون أبا بكر وعمر؛ فقالت: "**أبى الله أن يختم على أعمالهما**".

وهذا يعني أنه كان قد ظهر سبُّ الصّديق وعمر في حياة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، مما يدل على أن هذا نشأ مَبكراً.

وهذا عثمان -رضي الله عنه- قد وجد من المسلمين من جهلتهم من فسقه ومن استحل دمه.

الشاهد؛ أنه قد يكون الرجل من أهل العلم والفضل والدين والصحبة وهناك من يسبه أو يشتمه أو يلعنه بظلم وتعدّ أو مروق من الدين كما مرقت الخوارج.

كلام الأقران بعضهم في بعض

ويأتي بعد ذلك كلام الأقران بعضهم في بعض بسبب الحسد والظلم أيضا أو التظالم، كما وقع بين بعض علماء الإسلام، ومنهم علماء الحديث، من أمثال ما وقع بين ابن مندة وبين أبي نعيم - رحمهماالله - وكلاهما إمام.

وقد عقد ابن عبد البرِ - رحمهالله - باباً عظيماً في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) عن هذا المَوضوع، جمع فيه الأقوال التي صدرت من بعض الصحابة بعضهم في بعض، ومن التابعين بعضهم في بعض، ومن أئمة الحديث بعضهم في بعض، وآخرين...

وأخبر أن مثل هذا الذي يكون بين الأقران، قد يكون بدافع الحسد أو من الهوى، ولا ينبغي أن يلتفت إليه ولا ينظر فيه، فليس كل قدح يصدر من عالم وإن كان ثقة هو مقبول، لأنه لا أحد معصوم ولا مبرأ بعد رسولالله ﷺ-.

وكتاب (جامع بيان العلم وفضله) أوصي بقراءته، وأوصي بهذا الفصل الخاص بالذات.

تحريم الغيبة إلا في مصلحة شرعية

من الأصول في هذا الباب أن الغيبة في الأساس محرمة، وهي غير مشروعة إلا بضوابط محددة، فمنها ما استحله أهل العلم من التكلم في حق من يتعرض لنقل حديث النبي -ﷺ-، من باب معرفة أحوالهم، ومعرفة هل هم ثقات أو غير ثقات، وهل هم ضابطون أو غير ضابطين، حتى نعرف صدق الخبر عن رسول الله -ﷺ- ونتأكد من صحَّة الحديث، وهذا مستثنى من أصل الغيبة للمصلحة الشرعية الواجبة في هذا الأمر.

وكذلك ما ذكره بعض العلماء في بيان صاحب البدعة حتى يحذر الناس من بدعته، وهذا باب عظيم وباب واسع له ضوابطه الشرعية.

أما هذه الأيام فقد صار الخوض فيه بدون ضوابط، وبلا فقه لمعنى النقد والحكم على الأشخاص والكتب والطوائف والجماعات، وقد وصل الأمر إلى إخراج أناس من الدين أو من أهل السُّنة والجماعة وهم من خير من ينطبق عليهم أنّهم من أهل السُّنة والجماعة، بدعوى أنه ارتكب بدعةً من البدع، وبالتالي يحصل الصَّدّ عن كلِ عامل للإسلام، ويستحلّ عرضه، بل يستحل تكفيره وتفسيقه وإخراجه من الدّين، ولا يقبل منه ماَ أحسن فيه، وهذا خلاف الأصول.

العدل في التعامل مع المبتدع

الأساس أن ما أحسن فيه حتى الكافر يقبل منه، فلو أن كافراً عمل شيئاً حسناً فإنه يقبل منه، وتبقى عداوتنا له كما هي مع ذلك؛ فإنه إذا أحسن للمسلمين بحسنة، فنصرهم على عدو لهم؛ أو أعان محتاجهم؛ أو فك أزمة من أزماتهم، فإنها تقبل منه ويشكر عليها.

كما قال النبي -ﷺ- في أسارى المشركين في بدر: «**لَو كَانَ الْمُطْعِمُ بن عَدِيّ حيًّا ثُمَّ كَلَّمني في هَؤُلَاءِ النَّتْنى لَتركْتهم لَه**» [رواه البخارَي]، والمَطعِم كان ممن يرسل الطعامَ سرًّا إلى شِعب بني طالب الذي حوصر فيه المسلمون.

وقد قَبِل النبي -ﷺ- شاكراً لعمّه أبي طالب نصرته له.

وقَبِل أبو بكر الصدّيق -رضي الله عنه- جوار عبدالله بن الدَّغِنة سيد القارة.

وكما قبل المسلمون كثيراً من إحسان الكفار لهم.

ومن كان يخرج مع النبي -صلى الله عيه وسلم- من المنافقين ومن بعض الناس الذين لا خلاق لهم ولا ينوون نصر الدّين، كما قيل في الرجل الذي خرج مع النبي -ﷺ- في غزوة أحد وقاتل قتالاً لم يقاتله وقاتل قتالاً لم يقاتله أحد مثله، ومع ذلك قال النبي -ﷺ-: « **هذَا مِنْ** وسلم-: « **هذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » وقال -ﷺ-: «**إنَّ اللَّه يؤَيِّدُ هذَا الدِّين**

اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» [رواه البخاري ومسلم]، فالنبي -ﷺ- قَبل منه قتَاله ولم يردَه، وكَان يقاتل معه منافقون ولم يردهم منافقون ولم يردهم ويقول: اذهبوا أنتم منافقون ، لا تحاربوا معنا، ولا تخرجوا معنا.

وأما الناشئة الذين خرجوا في هذا الزمان الذين يبطلون كل حسنة عملها مبتدع فهم خارجون عن أصول الإسلام، وقد بلغ من حماقاتهم الإقدام على حرق فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر – رحمه‌الله –، وكذلك شرح النووي على صحيح مسلم؛ بدعوى أن الإمام ابن حجر والنووي كانا على عقيدة الأشاعرة.

وأمثال هذه الحماقات من فعل هذه النَّابتة كثير، وذلك بعد أن أصَّلوا هذا الأصل؛ وهو أن المبتدع لا تَقبل منه أيَّ إحسان، وكان جرَّاء هذا أيضا أن نفَّروا الناس عن كتب ودروس عامة الدُّعاة في هذا الزمان، وقَدَّموا على ذلك كله وجوب الطعن في علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة، حتى أنَّهم لم يبقوا عالما من العلماء المعاصرين دون طعنه وتجريحه وتنفير الناس عنه.

وقد سمَّت هذه النابتة بدعتهم هذه بأنها من أعمال الجرح والتعديل، والحال أن الجرح والتعديل مهمة العلماء الراسخين، وانفلت الأمر إلى أن أصبح سفهاء من الشباب لا يتعدى سن أحدهم سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة يجلس للجرح والتعديل، وهذه المهمة هي مهمة علماء بلغوا الغاية في معرفة الدين، وكانوا من أهل الأمانة والصدق، ومعرفة من هو

من أهل الحق بالفعل ومن هو خارج من الحق؟ ومتى يكون هذا الشيء بدعة ومتى يكون غير بدعة؟ وهل المصلحة في هجره أم ليست المصلحة في هجره؟... فيجب تقدير المصالح والمفاسد، وليس كل مبتدع يهجر، كما أصل هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل – رحمهم‌الله – أن بعض الناس من المبتدعة يمكن أن يهجروا إذا تحققت المصلحة، ويمكن أن لا يهجروا إذا كان تتأتى مفسدة أكبر من هذا.

ولا بد لمن يجرح ويعدّل أن يكون على علم كامل بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهجاً، وعالماً في المصالح والمفاسد، ويكون صاحب عقلٍ راجح يضع الأمور في نصابها، أما أن تأتي وتقيم أمماً وجماعات ودعاة إلى الله تبارك وتعالى وتظن أنك بسقوطك على خطأ من أخطاء فرد من الدعاة معناه أنه مبتدع، وتخرجه من الإسلام، وتقول يجب التصدي له، وعدم نشر كتبه، وحتى فيما كان قد أحسن فيه، ويجب الوقوف أمامه وصرف الناس عنه.

فهذا الأمر يحتاج إلى تأصيل، و– الحمد لله – قد قمت بتأصيل هذا الأمر تأصيلاً صحيحاً حتى لا ينزلق الناس في فتنة عمياء لا تُبقي ولا تذر في كتاب (موقف أهل السنة والجماعة من البدعة والمبتدعة).

الصبر على إيذاء المخالف

ما يصدر من تحامل أو سباب أو شتائم أو افتراء علي فهو شيء لا بدّ منه، فإن الرب سبحانه وتعالى ملك وخالق السماوات والأرض قد وجد من الناس من يسبونه ويشتمونه وينسبون له الولد، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: « **لَا أَحدَ أَصبر عَلَى أَذًى يسمعه من اللَّه عَزَّ وجلَّ؛ إِنَّهُ يشْرِكُ به ويُجْعل لَهَ الْوَلَدَ ثُمَّ هو يُعَافيهِمْ ويرزَقُهَم** » [رواه البخاريَ ومسلم].

فإذا كان الرب سبحانه يتعرَّض الناس له ويسبونه ويشتمونه؛ فمن باب أولى العباد الضّعاف المهازيل.

ثم هؤلاء الرسَل أُوذوا ليس فقط من الكفار والأعداء والخصوم بل من الأتباع، فهذا نبينا –ﷺ– خير الرسل وسيدهم ما سلِم من سفاهة بعض من ينسبون إلى الدين، وقد جاءه من يقول له: « **واللَّه إنَّ هذه لَقسْمَةٌ ما عُدلَ فيهَا وما أُريدَ فيهَا وجه اللَّه** » ، ثم قال النبي ﷺ-: « **يَرحم اللَّه موَسى؛ قَدْ أُوذي بأَكْثَرَ منْ هذَا فَصبر** » [رواه البخاري ومسلم].

وموسى أوذي من فرعون ومن نفس بني إسرائيل، وممن آمنوا به واتبعوه، وقال الله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الذين آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالذين آذَوْا موسى فَبرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عنْدَ اللَّه وجيهاً** ﴾ [الأحزاب:69].

وأبو بكر سَب، وعمر وعثمَان وعَليَ كذلك في عهد الصحابة.

وعلى كل حال؛ فعلى المسلم والداعية إلى الله أن يتأسى بنبينا مُحَمَّد – ﷺ – وبخيرة هذه الأمة، فإنه قد يتحامل بعض الناس ويقعون في عرض إخوانهم بلا بينة ولا برهان، وإنما بدوافع الله أعلم بها.

ودائماً أذكر بأن الاستطالة في عرض المسلم من الذنوب الكبيرة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "**إنَّ من أَربى الربا الاسْتطَالَةَ في عرْضِ الْمُسْلم بغَيْرِ حَقٍّ**" [رواه أحمد وأبو داوَد]، وجاء عن ابن عمر – رَضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "**من قَالَ في مُؤْمنٍ ما لَيس فيه أَسْكَنَه اللَّه ردْغَةَ الْخَبَالِ حتَّى يَخْرج ممَّا قَالَ**" [رواه أبو داود].

نماذج من السب والشتم والاتهام

ومن هذه النماذج ما جاء عن بعض من كتبوا قوله: "**رجل له نزعة إخوانية في الانهزامية أمام الضغوط العصرية وتطويع النصوص الشرعية للواقع العصري...**".

فهذا تقييم للشخص وليس تقييماً لجزئية معينة، والذي يقيم شخصا بهذا بالشكل لا بد أن يكون قد عرفه، وقرأ كتبه ومقالاته، وعرف مواقفه المحددة حتى يعطي تقييما صحيحا للشخص.

ومن ناحية ثانية فإنه اتهمني بهذه الاتهامات ولكنه لم يأت بدليل واحد على هذا الكلام.

ثم إن هذا الكلام عام، فما الدليل على صحة هذا؟ وإيش "**تطويع النصوص الشرعيَّة للواقع العصري**"؟، فليأت أحدهم بدليل واحد أنني طوعت نصوص الشرع للواقع العصري، أو أفتيت في شيء أخبر الله تبارك وتعالى أنه حرام وقلت أنه يجوز للواقع العصري، فلماذا الاتهام بدون بينة وبدون دليل!.

وهذه قضية كبيرة أن أحدا يطوع الدين لواقع الناس، فإنه يصل إلى حد الكفر، وهذا الكلام ممن يفهمه هو رمي بالكفر والخروج من الدين، فهو يعني أنني آخذ أحكام الإسلام وآتي إلى ما حرمه الله وأقول للناس ما دام أنتم بهذا الطريق فهو حلال لكم، فهل هذا هو منهجي وسبيلي!

وأما مسألة التصوير الفوتوغرافي فإن عامة علمائنا ومشايخنا يقولون بأنه يجوز استخدام الصورة في الأمور الضرورية كأمور الأمن والجوازات، وكذلك الصور المفروضة في النقود وغيرها.

ولي في المسألة رسالة سميتها (حكم التصوير في الشريعة الإسلامية) و قد قرأها الشيخ مُحَمَّد الصالح العثيمين – رحمه‌الله – وأثنى عليها ثناء طيباً، وكان حين يسأل عن هذه القضية كما أخبرني كثير من الإخوة يحيل إليها.

فأرجو أن لا أكون قد أجزت شيئا من الحرام، وما توصلت إليه في هذه المسألة أراه من الحق الذي لا شبهة فيه، وفرقت بين الصورة الفنية والصورة الطبيعية التي هي من خلق‌الله سبحانه وتعالى المنقولة من خلال التلفزيون وآلة التصوير، وكثير من علمائنا السلفيين يرون أن استخدام صورة الآلة أمر جائز.

ومن ذلك السب والاتهام – أيضاً – قول الكاتب: "**يا شيخ لا تكن غزاليا؛ فقد كفانا الأول**".

فإن المقارنة بيني وبين الشيخ مُحَمَّد الغزالي – عفا‌الله عنه – فيما قاله عن الشباب المسلم الذي يتمسك بسنَّة النبي ﷺ – في اللباس وفي الهدي ظلم؛ وليس لي كلمة واحدة أنكرت فيها على شاب مسلم يتمسك بشيء من سنن النبي ﷺ–.

أما نقد من ينتسبون إلى الدعوة الإسلامية بحق فهذا واجب، وإذا قلنا أنه لا يجوز بتاتاً أن ينقد من يتسمى باسم (السلفية) أو دخل فيها أو

أو العاملين للإسلام؛ فهذا معناه جعل جماعة أو مجموعة من أهل الإسلام معصومة أو فوق النقد.

وهذا إمام من أئمة السلفيَّة يقول: "**ما منا إلا رَدّ ورُدّ عليه**"؛ فالردود والنقد بين أهل العلم واجبة.

الشدة في تقويم ونقد من تحبّ

لا أذكر كلمة فيها شدة على مسلم أظن أنه يعمل حقاً، ولا على سلفي – إن شاءالله – مخلص في دعوته وفي عقيدته، لكن قد أُشدّد على بعض الناس ممن ينسب للمنهج السلفي ويأتي بأمور خارجة عن الكتاب والسنة وإجماع الأمة، كما حصل في كلامنا عن المجموعة التي اتبعت (جهيمان)، وأعتقد أني شدَّدت عليهم لكن بحق، لأني رأيت أن بدعتهم مخالفة للكتاب وللسنة وللإجماع.

وقد تكون الشدة لمن تحب فهذا معاذ –رضي الله عنه– يقول له رسولالله – ﷺ– عندما أطال بالناس في الصلاة: « **أَفَتَّانٌ أَنْتَ يا معاذُ، ثلاثا** » [رواه البخاري ومسلم].

علماً بأن النَّبي –ﷺ– كان يحبُّه أشدَّ الحب، وقال له وقد أخذ بيده: « **يا معاذُ؛ واللَّه إنِّي لَأُحبُّكَ، واللَّه إنِّي لَأُحبُّكَ؛ فَقَالَ: أُوصيكَ يا معاذُ لَا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِ صَلَاة تَقُولُ: اَللّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحسنِ عبادَتك** » [رواه أحمَد].

وقال لأبي ذرَ –رضي الله عنه– وكان يحبه أعظم الحب: « **إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ** » [رواه البخاري ومسلم].

فالشدّة مطلوبة إذا جاءت على من تنصح له في الله، وعلى من ترحمه، من باب تنبيهه على عظَم الخطأ الذي وقع فيه.

أقوال العلماء في تولي الولايات العامة والدخول إلى المجالس التشريعية في ظل الحكومات المعاصرة

هذه القضية قد اختلف فيها آراء أهل العلم من العلماء المعاصرين، فبعضهم يرى أنه من الجائز والمشروع المشاركة في الانتخابات البرلمانية القائمة في المجالس التشريعية، ويرون أنها من المصالح الشرعية، بل يرى بعض العلماء أنّه من الأمر الواجب المفروض.

فقد استفتي سماحة والدنا الشيخ ابن باز - رحمه‌الله - بالنسبة إلى الكويت هل للمسلمين والشباب المسلم أن يدخل في هذه الانتخابات؟ فأفتى بمشروعيتها.

وكذلك شيخنا الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين - رحمه‌الله - قد استفتي في هذا وأفتى بجواز هذا الأمر، بل بوجوبه.

والجماعات السلفية في كثير من المواطن، في الهند ومصر والسودان وفي غيرها، قد مارسوا ودخلوا في الانتخابات البرلمانية ولم يخرجهم هذا من مسمى (السلفية).

الأدلة الشرعية على المشاركة في البرلمانات

وهذا الباب من أبواب الدعوة التي لا يجوز تركها بل إن المصلحة الشرعية تحتم الدخول في هذه المجالس، وعليه أدلة وبراهين يقينيَّة في مشروعيته.

ومن هذه الأدلة على سبيل الاختصار: أن الشعوب الإسلامية والحكومات الموجودة الآن في أقاليم المسلمين سواء كانت تحت حكم استبدادي فردي أو تُحكَم بما يسمى بـ(النظام الديمقراطي) قريبة من الإسلام أو بعيدة عنه؛ لا بد من تصحيح مسارها نحو الإسلام، فهي حكومات تحكم شعوباً إسلامية، وهذه الشعوب الإسلامية عامة الناس فيها تريد الإسلام، وتريد الشريعة الإسلامية، بدليل أنه لم يحصل أي استفتاء لتطبيق الشريعة الإسلامية إلا ووجدت أن عموم الناس يريدون تحكيم الشريعة الإسلامية دون القوانين الوضعية.

والكويت ظاهرة كمثال لهذا؛ فنوَّاب الشعب في عدة مرات يقدّمون مشروع قانون بتعديل المادة الثانية من الدستور لتكون: (دين الدَولة الرسمي الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر التشريع)، فقام ثمانية وأربعون نائبا من خمسين وطالبوا بذلك، وهؤلاء يمثّلون قطاعات الشعب الكويتي.

وفي بداية العمل النيابي في الكويت لم يكن للإسلاميين مشاركة ملموسة، ثم بدأ هذا الأمر في أواخر السبعينات بعد أن نما التوجه

الإسلامي وكان له الآثار المحمودة بعد ذلك.

وفي مصر أقيم استفتاء في عهد الرئيس (أنور السادات) على تطبيق الشريعة الإسلامية؛ فجاءت النتيجة أن 97٪ يريدون تطبيق الشريعة الإسلامية.

ولما قامت جبهة الإنقاذ في الجزائر وطالبت بأن الإسلام هو الحل، وهو البديل، ونريد تطبيق الشريعة الإسلامية، قام عامة الشعب الجزائري كلّه والتفَّ حولها ومشى وراءها، علماً بأن عمرها في العمل الدعوي كان قليلاً، ولا يشابه عمر الأحزاب السابقة الكبرى كجبهة التحرير وغيرها.

فنحن نعيش في وسط الشعوب الإسلامية، وتحكمها حكومات قد فرضت عليها أو هي تفرض أنظمة وقوانين تخالف الإسلام، ولا بد من الجهاد لتعديل هذه القوانين لتكون شرعاً إسلامياً.

حكم تولي الولاية العامة والمجالس النيابية

لا فرق بين تولّي الولايات العامة كالوزارة أو الدوائر الحكومية وبين المجالس النيابية، بل إنَّ النيابة التشريعية – شرعاً – أسلم لصاحبها من الوزارة وما دون الوزارة؛ لأن الوزير إنما هو عضو في هيئة تنفيذية تنفذ القرارات والقوانين المعمول بها، أما النائب فهو عضو في مجلس تشريعي له الحق في أن يعترض على أي قانون وأن لا يدخل فيه، وله الحق في الرقابة على الوزارات، والرقابة على الحكومات، كما له الحق في أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما يشاء؛ لما معه من حصانة (دبلوماسية)، فدخوله في المجلس التشريعي – وهو مسلم – لا يلزمه أن يشارك بصوته في إقرار قانون يخالف الشريعة، ولا يعني أنه يقر بالقوانين الوضعية، بل قد يدخل فيه معارضا للقوانين، وهو يريد تبديلها وتبديل الدستور الوضعي، وبحسب (النظام الديمقراطي) فهو غير ملزم بشيء، ولا يقاضى على كلامه، لذلك فإنَّ حاله إسلامياً أفضل من حال الوزير.

فتقلد الوزارة أو تقلد أيَّ منصب عام في الحكومات القائمة أمر جائز – إن شاءالله –.

تولّي الولاية العامة من أعظم الواجبات

يجب أن يعلم من ينكرون أو يحرمون مشاركة الإسلاميين في المجالس النّيابية والولايات العامة أنَّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، وقَد نشأ مفهوم خاطئ في أن السعي إلى الولاية العامة لرئاسة حكومة أو وزارة أنها مما يتنافي مع الدين والورع، بل إن هذا السعي هو من واجبات الدين ومهماته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " **يجب أن يُعلم أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم » رواه أبو داود** ".

ثم ساق – رحمه‌الله – نصوصاً نبوية وكلاماً للسلف في هذا.

ثم قال: " **فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات** ".

أقسام الناس في تولي الولايات العامة

ويقول أيضاً شيخ الإسلام: "**ولما غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف صاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان في ولايتهم**".

يعني أن الناس قد تفسد في الولاية؛ لأنهم يحرصون فيها على المال وعلى الشرف، لكن المؤمن ينبغي عليه أن يطهر نيته، ليكون مقصده هو إعلاء كلمةالله في الأرض.

ثم قال - رحمه‌الله -: " **ولما حصل ذلك رأى كثير من الناس أن الإمارة تنافي الإيمان وكمال الدين، ثم منهم من غلَّب الدين وأعرض عما لا يتم الدين إلا به من ذلك، وتركوا الإمارة، ومنهم من رأى حاجته إلى ذلك فأخذه معرضاً عن الدين لاعتقاده أنه مناف لذلك**".

يعني انقسم المسلمون إلى قسمين:

قسم أعرض عن الإمارة لأ نـه يخاف أن تفسد دينه.

وقسم أخذ الإمارة وترك الدين لاعتقاده أ نـه مناف لذلك، وأنه لا يمكن أن يجمع بين إمارة ودين، ولا يقدر أن يحكم الناس ويطبق الإسلام.

ثم قال - رحمه‌الله -: "**وصار الدين عنده في محل الرحمة لا في محل**

العلو والعز ".

والذي يعنيه؛ أن بعض الأمراء في وقته صار يحكم المسلمين، وينظر إلى الإسلام من باب الرحمة والذل، فيرحم المسلمين ويترك لهم صلاتهم وصيامهم، ولا يأخذ الدين ليعلي مناره ويجاهد في سبيل‌الله، وإنما يحكم الناس بما يراه من تشريع وقانون، ويترك للمسلمين أن يمارسوا حريتهم الدينية كما هو حاصل الآن في الأحكام العصرية.

شبهة من ترك الحكم بالدين

ثم يقول -رحمه‌الله-: "**ولما غلب على كثير من أهل الديانتين العجز عن تكميل الدين، والجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء، استضعف طريقتهم واستذلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها**".

أي: أن الناس نظروا إلى الحكومة الدينّية عند النصارى بأنها حكومة فاسدة؛ لأنهم وجدوهم ضعافاً، وما استطاعوا أن يجمعوا بين الدين الذي أنزل وبين إقامة شؤون الناس في الدنيا.

ويقول - رحمه‌الله -: "**وهاتان السبيلان الفاسدتان سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمّله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك إقامة الدين؛ هما سبيل المغضوب عليهم والضالين؛ الأولى للضالين النصارى، والثانية للمغضوب عليهم اليهود**".

أي الذين أخذوا السلطان بدون الدين، والذين أخذوا الدين بدون سلطان.

يقول: "**الأولى للضالين النصارى**"، وهم الذين تركوا ما لقيصر

لقيصر وما لله لله، وفصلوا الدين عن الحياة.

ثم يقول: "**والثانية المغضوب عليهم اليهود**"، وهم الذين تمسكوا بالحكم من حيث هو حكم و تركوا الدين.

ما يجب على المسلم في الولاية العامة

فالواجب على المسلمين أن لا يفرطوا في الولاية العامة، وزارة كانت أو نيابة، فإنما هي من واجبات وفروض الدين.

ويقول شيخ الإسلام – رحمه‌الله – في هذا : "**فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه، فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله وإقامة ما يمكنه من دينه ومن مصالح المسلمين، وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات، واجتنب ما يمكنه من المحرمات؛ لم يؤاخذ بما يعجز عنه**".

ثم يقول – رحمه‌الله –: "**فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار، ومن كان عاجزاً عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ففعل ما يقدر عليه؛ من النصيحة بقلبه والدعاء للأمة ومحبة الخير؛ وفعل ما يقدر عليه من الخير،لم يكلف ما يعجز عنه؛ فإنَّ قِوام الدِّين بالكتاب الهادي والحديد النَّاصر كما ذكره الله سبحانه وتعالى**".

أي: العاجز عن أن ينصر الدين بالولاية والإمارة ولكنه نصح للأمة، ودعا لمن يقوم بذلك، فقد أدى ما عليه، فالأمة لا تقوم إلا بهذا الكتاب الذي يهدي، والحديد الذي ينصر الكتاب.

يشير إلى قوله سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿ **لَقَدْ أَرسلْنَا رسلَنَا بالْبَيِّنَات وَأَنْزَلْنَا معَهُمُ الْكتَابَ وَالْميزَانَ ليَقُومَ النَّاسُ بالْقسْط وَأَنْزَلْنَا الْحَديدَ فيه بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنَافعُ للنَّاس وَليَعْلَمَ اللَّهُ من ينصره ورسله بالْغَيْب إنَّ اللَّهَ قَويٌّ عَزيزٌ** ﴾ [الحديد:25].

فإن من مهمة الرسل إقامة العدل في الأرض.

فالسعي إلى تولي الولايات العامة في الدول القائمة على ما فيها من ظلم وعلى ما فيها من بعد عن الله تبارك وتعالى من أوجب واجبات الدين التي ينبغي أن يحرص عليها أهل الإسلام وأهل الدين، وليس كما يدّعي من أنه من مناهج الأحزاب الإسلامية، بل هو قول أهل البصيرة والعلم من علماء الإسلام قديماً وحديثاً.

الجواب عن شبهة ارتكاب المحرمات عند تولي الولايات العامة في الحكومات المعاصرة

وقول بعضهم إن تولي الولايات العامة في الحكومات المعاصرة يؤدّي إلى ارتكاب مخالفات شرعية وبعد عن الله، وأننا سنضطر إلى أن نطبَق إسلاماً ناقصاً.

فانظر ما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في هذا: "**إذا كان المتولي للسلطان العام أو بعض فروعه كالإمارة والولاية والقضاء ونحو ذلك إذا كان لا يمكنه أداء واجباته وترك محرماته ولكن يتعمد ذلك ما لا يفعله غيره قصداً وقدرة جازت له الولاية وربما وجبت**".

أي: أنه يفعل ما هو مفروض عليه في هذه الإمارة العامة، وهو لا يقصد ذلك ولا يريده وإنما هو مفروض عليه يقول: "جازت له الولاية وربما وجبت" مع عجزه أن يقيم الدين كله.

ثم قال: "**وذلك لأن الولاية إذا كانت من الواجبات التي يجب تحصيل مصالحها من جهاد العدو وقسم الفيء وإقامة الحدود وأمن السبيل كان فعلها واجباً؛ فإذا كان ذلك مستلزماً لتولية بعض من لا يستحق وأخذ**

بعض ما لا يحل وإعطاء بعض من لا يستحق ولا يمكنه ترك ذلك".

أي: قد يفرض عليه في الولايات أن يضع بعض المال في غير محله، ويأخذ بعض المال من غير محله، "ولا يمكنه ترك ذلك".

ثم قال: "**صار هذا من باب ما لا يتمّ الواجب أو المستحب إلا به فيكون واجباً أو مستحباً إذا كانت مفسدته دون مصلحة ذلك الواجب أو المستحب؛ بل لو كانت الولاية غير واجبة وهي مشتملة على الظلم ومن تولاها أقام الظلم حتى تولاها شخص قصده بذلك تخفيف الظلم فيها ودفع أكثره باحتمال أيسره كان ذلك حسناً مع هذه النية**".

يعني: لو أخذها من باب أن يخفّف الظلم الذي فيها عن الأمة، مع أنه سيرتكب الظلم، لكن سيكون ظَلمه أقل مما لو أخذها رجل فاسد، فيؤدي الظلم فيها على أتمّه.

يقول - رحمه‌الله -: "**وكان فعله لما يفعله من السيئةِ بنيّة دفع ما هو أشد منها جيدا**"؛ يقول: إن هذه نية جيدة وفعل جيد أن يخفف الظلم بالرغم من أنه سيعمل الظلم.

وانظر إلى ما استدل به شيخ الإسلام فقال: "**ومن هذا الباب تولي**

يوسف الصدّيق على خزائن الأرض لملك مصر، بل ومسألته أن يجعله على خزائن الأرض، وكان هو وقومه كفاراً.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ﴾ [غافر: من الآية34].

وقَالَ تعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ [يوسف: 39 -40].

ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته".

فهم كفار ،كانوا يأخذون المال أحياناً من الشعب ظلماً، ويصرفوه على الحاشية وعلى عائلة الملك بالباطل، فلا يقيمون العدل الإلهي في توزيع هذا المال ولا في أخذه "**ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم**" لأن سياستهم في الملك هي سياسة فرعون.

ثم يقول بعد ذلك – رحمه‌الله –: "**ولم يكن يوسف يمكن أن يفعل كل كل ما يريد، وهو ما يراه من دين الله، فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل**

الممكن من العدل والإحسان"؛ فقام في هذا وهو يعلم أنه ستجري على يديه بعض أنواع الظلم، لكنه فعل ما يستطيع من العدل والإحسان.

ثم يقول - رحمه‌الله -: "**ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مالم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك وهذا كله داخل في قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّه ما استطَعتم ﴾**" [التغابن: من الآية16].

فهذا الجواب في رد شبهة من أعظم شبهات من يقول إن الدخول في المجالس التشريعية وأخذ الولايات العامة في الدول القائمة حالياً إنما تؤدي بالمسلم إلى أن ينسلخ من دينه ويقر الباطل، وهو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمة، وليس كلاماً منسوباً إلى ما يسمى اليوم بالأحزاب الإسلامية.

وهذه بعض الأدلة الكثيرة التي تبين أنه قد يكون الدخول إلى هذه المجالس من الفرض الواجب، وليس فقط من الأمر المستحب أو المشروع.

والقيام بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الوقت يشمل هذا وغيره من نشر العلم وتعليمه والدعوة إلى‌الله.

الردّ على من فصل السياسة عن الدين

أما قضية إدخال الشباب في السياسة، وإشغالهم فيها عن القيام بالدين؟! فليس هناك فصل بين السياسة والدين، فإن الحكم من الدين، سواء سماه الناس سياسة أو غيره، فمصالح الناس العامة، والحكم الذي هو العقد بين الحاكم والمحكوم، وإصلاح حال الأمة وواقعها مع أعدائها من يهود ونصارى ومن منافقين؛ هل هذا من الدين أم ليس من الدين؟! وإذا كان من الدين فلا يجوز أن نقول هذه سياسة؛ لأن الفصل بين السياسة وبين الدين كفر.

ومن أخرج شؤون المسلمين العامة من الدين فإنه يكفر بالله تبارك وتعالى، وقد قرأنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ من أهم فروض الشرع التي ينبغي تحصيلها والحضِ عليها الولاية العامة التي لا يقام الدين إلا بها.

كما قال الله تبارك تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء: من الآية 58].

فهذه من أخص فروض الدين التي يجب الاهتمام بها، ويجب وضعها في موضعها الصحيح، ولن يقوم الدين إلا إذا تولى شؤون المسلمين أهل الإيمان وأهل القوة.

كما مدح الله تبارك وتعالى عباده فقال: ﴿**أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾

[ص: من الآية45].

فالأيدي: القوة في أخذ أحكامالله تعالى وتنفيذها.

والأبصار: البصيرة فيه.

فالواجب على الشباب التبصر في واقعهم وواقع أمتهم، ومحاولة إزاحة أهل الباطل عن صدر هذه الأمة، وأن يكون أهل الحق هم الذين يتولون شؤون أمة الإسلام.

المنظور الشرعي لمفهوم الجهاد

أما الجهاد بمعنى القتال، فهو فريضة ماضية إلى يوم القيامة، وله ضوابطه وواقعه، ولا يجوز أن يقع إلا عند تمايز الصفوف، وهذا قد بيناه في كتاب (فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلىالله عز وجل)، فإذا تميزت الصفوف بين إسلام وكفر؛ عند ذلك يجب على المسلمين أن يحاربوا وأن يدفعوا عن أنفسهم ويعلوا كلمةالله.

كما حصل من تأييد للجهاد في أفغانستان، وتأييد للجهاد في البوسنة والهرسك، وفي أرتيريا، وفي كل مكان يقام فيه جهاد بين إسلام وكفر فحق وواجب أن يقف المسلمون مع إخوانهم المضطهدين والمستضعفين، والذين يعتدى عليهم في دينهم أو في أعراضهم أو في أموالهم؛ لأن الدفاع عن النفس والعرض أ مـر واجب وفرض لازم.

ولكن ما يسمى ويطلق عليه بعض الناس (جهاد) وهو من الفتن الداخلية بين المسلمين، ومن قتل المسلمين بعضهم بعضاً، والقول بأن الحكام الموجودين الآن كلهم كفرة، وبالتالي يجب قتالهم وقتال من يتترَّسون به من الجيش والشُّرطة وأفراد المخابرات، وأن قتل هؤلاء حق، فهذا الكلام باطل، وقد رددت عليه في مجموعة من الكتب والأشرطة والمقالات، وتسميته جهادا ليس بصحيح.

الرَّد على من أغلق باب الجهاد

ماذا يكون موقفك عندما يأتي من يقول: "**إن باب الجهاد الآن مغلق!! والجهاد لا يكون إلا بإمام والإمام غير موجود...والجهاد لا يكون إلا بإعداد عدَّة وأعداؤنا قد ملَكوا كل العدّة ولا عدّة معنا...والقيام بالجهاد الآن انتحار، وأن من يقاتل الآن منتحر، وهو ساع لغضب ورائش لنفسه سهم من سهام يجأ بها في صدره...**"

إن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة بإجماع أمة الإسلام، ولا يشترط الإمام إلا في جهاد الطلب، وأما في جهاد الدفع فإنه لا يشترط إذن الإمام، بل ولا إذن الوالدين، ولا إذن السيد لعبده، ولا إذن الزوج لزوجته، فكل من قدر على الدفع وجب عليه أن يقاتل.

وأما الاحتجاج بأن الرسول -ﷺ- مكث ثلاث عشرة سنة لا يقاتل...فقد كانت هذه مرحلة ضعف، وقد منع الله فيها المسلمين من الدفاع عن أنفسهم، فلما تحولوا إلى المدينة أوجب الله عليهم القتال، وبقيت هذه المشروعية إلى يوم القيامة، والطائفة المقاتلة على أمر الله هي الطائفة الظاهرة المنصورة كما قال النبيﷺ:« **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُم حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ**» [رواه مسلم وأحمد واللفظ له].

الحرب على الإرهاب والتطرُّف

مستقبل العالم الإسلامي بيدالله سبحانه وتعالى، وهو الذي يصرِف عباده كما يشاء ... ومن حيث موعودالله تبارك وتعالى، فقد وعد هذه الأمة بالنصر والعزة والسناء والتمكين إلى آخر الدنيا، وأنه إذا جاءتها أيام عصيبة وشديدة وفتن كبيرة يعقبها بحولالله وقوته أيام خير ونصر.

ولكننا نعيش هذه الأيام أ سوأ فترة – لعلها – مرَّت على الأمَّة الإسلاميَّة، والخطورة في هذه الفترة بيَّنتها في بعض المقالات وفي بعض الخطب، وهي تكمن في أنه بعد سقوط المعسكر الشيوعي قام اليهود الذين بيدهم الإعلام العالمي وصرخوا بالناس من كل مكان أن الخطر القادم هو الإسلام!، وللأسف أنهم أقنعوا الأوروبيين والأمريكيين وسائر الشعوب التي تعيش للحياة الدنيا أن يا أمم؛ يا شعوب؛ يا حكومات؛ الخطر القادم على الجميع هو الإسلام، وينبغي أن نقف صفاً واحداً لحرب الإسلام.

فالنظام الذي يسمَّى (النِّظام العالمي الجديد)، والتي أمريكا على رأسه، أُولى الأولويَّات له هو ضَرب الإسلام، ويقرأ أي إنسان في كتاب (نيكسون) (الفرصة السانحة) وهو عبارة عن تحليلات للرئيس الأمريكي السابق (نيكسون) الذي يقول فيه باختصار: (**إن الفرصة الآن قد سنحت للقضاء على الإسلام، وتجيير إسلام يتعايش مع الحضارة**

الغربية ويعيش تحت لوائها)، وهذه هي خلاصة الكتاب.

والذي يتتبَّع التصريحات التي تصدر من الدوائر التي تشكّل السياسة الأمريكية يجد أن أولى الأولويات التي يضعونها هو القضاء على الإسلام الذي يسمى عندهم بالمتطرف.

وقد أقنعوا الدول العربيَّة وحكوماتها أن الخطر القادم عليكم هو من الإسلام، وأشعلوا كذلك كل الوثنيات التي يمكن أن تحارب الإسلام، فالوثنية الهندية عادت كأشد ما تكون، وهي تطالب بإخراج الهنود المسلمين أكثر من مائتي مليون من الهند، أو العودة إلى المجوسية، لأنهم يعدُّون الإسلام طارئاً عليهم

والحرب التي قامت في البوسنة والهرسك قامت على أنه لا يجوز أن تقوم دولة تتسمى باسم الإسلام في أوروبا، ولا بد من القضاء عليها، والعالم كله كان ينظر ويشاهد الإبادة الجماعية لشعوب هي في الأساس أوروبية.

وكانت أمريكا في عهد (بوش) تُحبِّذ التدخل العسكري، والذي وقف ضدَّها هو (بطرس غالي) الأمين العام للأمم المتحدة، ثم صار (بطرس غالي) نفسه النصراني الصليبي المتعصّب يرى بعد هذه الجرائم وعدم توقُّف الصرب أنه لا بد من التدخل العَسكري، فمن الذي وقف له؟ إنها أمريكا التي تقول: لا يمكن أن تتدخل تدخلاً عسكرياً.

أما ممثّلو السلام الذين بعثوهم فعليهم الانتظار، حتى تتصفى القضيَّة، ويتَصفَّى أمل المسلمين من أن يقيموا لهم دولة صغيرة في أوروبا.

أوروبا.

لا أريد أن أسترسل في بيان الأوضاع المأساوية التي تعيشها الأمة الإسلامية، وهي أوضاع لم يمر مثلها على الأمة، و لا يوجد الآن قوة في الأرض؛ لا حكومات ولا جيوش تدافع عن دماء المسلمين وأعراضهم، والإسلام يصاح به في كل مكان:- هذا هو المجرم الوحيد الذي ينبغي للجميع أن يضعوا أيديهم في أيدي بعض للقضاء عليه.

ويسمى تارة باسم (الأصولية)، وتارة باسم (التطرف)، أو بأي أسماء أخرى تُنفِّر الناس من الإسلام، حتى صار كثير من أبناء المسلمين أنفسهم يَنفِر من الإسلام، ويظن أنه خطر عليهم وعلى حياتهم وعلى استقرارهم.

نحن نثق بل نؤمن بموعودالله، وأنه لا بد أن يتحقَّق، ولكن كيف ستنجلي هذه المحنة؟ وكيف سيخرج المسلمون منها؟ فهذا ما لا يعلمه إلاالله، وهذه الفترة التي يمر بها المسلمون حرجة، وأملنا فيالله سبحانه وتعالى أن يوجد للمسلمين بصيص نور يخرجون منه، ونؤمن بأنه ولو اجتمع عليهم من بأقطارها فإنهم لن يستأصلوا الإسلام.

معاملة الشيخ وعلاقته مع تلاميذه

لي إخوة أحببتهم في الله تبارك وتعالى، وأرجو أن نكون قد تحابينا في الله واجتمعنا عليه، ولا أعامل أحداً حتى من أبنائي الصغار على أساس الأستاذ والتلميذ، أو العالم والمريد، وإنما أعاملهم عن طريق المصاحبة والأُخوة، وأعاملهم كما يعامل أي صديق صديقه من مناقشة في الرأي، ومنِ أنه يقدر أن يقول كلمة الحق، ومن أنه يتعلَّم ويأخذ مني، ومن أنه ينتقدني.

فالحمد لله أنني في مدة الدعوة التي هيَّأها الله لي للدعوة إليه إنما كان لي فيها إخوة، وأعتز بأخوتهم وصداقتهم في الله، وهم كُثر، وقد بارك الله تعالى فيهم، فمن بينهم من آتاه الله علْماً وخلقا وأدبا ودعوة أضعاف ما أعطى أخاهم الأكبر، وهذا فضل الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء.

لو استقبلت من أمري ما استدبرت

وهناك أمور كنت أتمنَّى لو لم تفتني قبل هذا السِّن، ولو سألت نفسي هذا السؤال: ماذا لو كنت أعرف المستقبل وأخَطط له؟، فماذا كنت سأفعل من الأشياء التي أتمنى لو قد حصلتها قبل هذا السن التي وصلت إليها؟!.

أولاً: أن أكون قد حفظت القرآن قبل دخول المدارس.

ثانيا: لو أتقنت اللغة العربية إتقاناً كاملاً قبل دخول المدارس أو على الأقل في مرحلة البلوغ.

ثالثاً: أتمنى لو أتقنت لغة أخرى غير العربية مثل الإنجليزية، وقد عرفت هذه الأهمية بعد أن سافرت في الأرض شرقاً وغرباً، وأن المسلم لا بد أن يكون متقناً لهذه اللغة؛ لأنها وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة، وكان يؤلمني كثيراً أن أجد بعض الناس من غير الذين يحسنون العربية ولا يوجد أحد ليترجم لي ولهم، وأحببت أن أبلغهم دعوة الإسلام ورسالته، ولكني لا أملك اللغة الكاملة التي أستطيع بها أن أبلغهم هذه الرسالة.

فهذه قضايا أتمنى لو أني كنت كما يقال: "**لو استقبلت من أمري ما استدبرت**".

يا حنظلة ساعة وساعة

أقضي وقتي من خلال البحث العلمي، وأكثره في البحوث العلمية عن طريق البحث الشمولي في أي قضية أو مسألة تهم المسلمين، بجمع أدلتها ومصادرها وتحقيقها حتى تخرج إلى النّاس محققة مبحوثة بحثاً علمياً كاملاً.

وأقضي وقتا من النشاط الدعوي باللقاء ببعض الإخوة، أو الرد على بعض الفتاوى، أو إلقاء بعض الدروس والمحاضرات.

ثم في مجال حظّ النفس، وأرى أنه ضروري للإنسان، ولأن الرسول ﷺ - يقول: « **إنَّ لربِّكَ عليكَ حقًّا، ولنفْسكَ عليكَ حقًّا، ولأَهْلكَ عليكَ حقًّا، فأَعْطِ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ** » [رواه البخاري]، فإن إعطاء البدن والنفس حظَهما من الرياضة والتنزه فرصةٌ لتجديد النشاط وشحذ الهمة.

واللقاء بالإخوة في أمر ما هو من حظوظ النفس وليس من حظوظ الدعوة، والإكثار منه فيه شيء من النقص، لكن بعضه مطلوب لاستمرار الحياة، وكما قال النبي ﷺ -: « **ولَكنْ يا حنْظَلَةُ؛ ساعَةً وساعَةً** » [رواه مسلم].

نصيحة الشيخ لشباب الدعوة

نصيحتي بعد هذه الأحداث أن يأخذ طالب العلم والداعية إلى الله هذه الأمور على أنها جهد إنساني معرَّض للصواب والخطأ، وأن المرء ضعيف في عمله ودعوته، ولا يجعل هذا هو المثل الأعلى، بل هم أصحاب النبي -ﷺ- في جهادهم ودعوتهم، وكبار العلماء؛ فلست إلا طالب علم، وسأظل كذلك، وجهودي في الدعوة جهود محدودة، ولا ينبغي أن ينظر إليها أنها جهود كبيرة.

وأرجو أن أكون قدَّمت في هذه الصفحات ما يفيد بعض الإخوة، ويأخذوا منها العبرة، في أن كل عامل له نصيب، فأنت اغرس الغرسة وربُّنا سبحانه ينميها.

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [إبراهيم: 24-25]

والخلاصة من هذا؛ أنه لا ينبغي أن نيأس، ولا ينبغي أن نقلّل من حجم أي جهد أو عمل لأن الله يبارك فيه.

وأسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات وأن يجلي بها كثيراً من الأمور التي كانت تغيب عن بعض الشباب الذين لم يعاصروا هذه الأحداث.

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

(النحل: 125)

فهرس	الصفحة
شكر و تقدير	5
مقدمة الشيخ ابن جبرين – حفظه الله –	7
مقدمة الطبعة الأولى	9
تمهيـــــد	12
المولـــــد و النســـب	13
النشـــأة والتعليـــم	14
حفظ القرآن في (الكُتّاب)	16
الضرب بالعصا في التحفيظ	18
قواعد في حفظ القرآن	20
حب القراءة وسعة الاطلاع	20
النشأة على العقيدة السلفية	23
الدراسة الثانوية والجامعية	25
التأصيل على مشايخ الدعوة السلفية	26
العلَّامة محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله –	27

سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله –	28
الشيخ المحدث العلاَّمة الألباني – رحمه الله –	29
مجالس الحوار بين العلماء	30
المخيمات العلمية والدعوية	31
التدريس في المسجد النبوي	32
الرحلة للدعوة في السودان	33
رحلات دعوية أخرى	35
الواقع الديني في الستينات	36
بداية الدعوة إلى الله	37
مشايخ الدّعوة القدامى	38
دعوات الجماعات الإسلامية	41
الرجوع إلى الدين بعد حرب الـ 67	42
المنهج الصحيح في التأليف	43
قائمة بكتب ورسائل الشيخ – حفظه الله –	44
المراجع العلمية للدعوة السلفية	48
ارتباط الدعوة السلفية بالمنهج لا بالأشخاص	49

الأصول العلمية للدعوة السلفية	50
لماذا كانت هذه التسمية؟	52
أهداف الدعوة السلفية	53
أهم قواعد المنهج السلفي	54
الدعوة إلى الله من خلال المدارس	55
تطوير مناهج التربية الإسلامية	56
حصة التربية الإسلامية لقاء أخوي	57
جماعة المسجد في المدرسة	58
الدعوة إلى الله من خلال الإمامة	59
إحياء سُنَّة صلاة التراويح	60
الدعوة إلى الله من خلال الخطابة	61
الخطبة التي أثارت الناس	64
بداية الصحوة الإسلامية	68
اختيار الخطبة وإعدادها	69
الدعوة إلى الله من خلال الصحافة	75
بداية الكتابة الدينية في الصحف	73

الصفحة الدينية في (الوطن)	74
الكتابة في مجلة (المجتمع)	76
الكتابة في مجلة (الفرقان)	77
الدعوة إلى الله من خلال شبكة الإنترنت	78
عقبات في طريق الدعوة	81
فتنة تكفير المسلمين وادّعاء المهديّة	82
الغُلوّ عند جماعة (جهيمان)	84
مناظرة مع (جهيمان بن سعيد)	86
ضوابط التبديع عند أهل السنة والجماعة	89
كلام الأقران بعضهم في بعض	90
تحريم الغيبة إلا في مصلحة شرعية	91
العدل في التعامل مع المبتدع	92
الصبر على إيذاء المخالف	95
نماذج من السب والشتم والاتهام	97
الشدة في تقويم ونقد من تحبّ	100
أقوال العلماء في تولي الولايات العامة والدخول إلى المجالس التشريعية في ظلّ الحكومات المعاصرة	101

الأدلة الشرعية على المشاركة في البرلمانات	102
حكم تولي الولاية العامة والمجالس النيابية	104
تولّي الولاية العامة من أعظم الواجبات	105
أقسام الناس في تولي الولايات العامة	106
شبهة من ترك الحكم بالدين	108
ما يجب على المسلم في الولاية العامة	19
الجواب عن شبهة ارتكاب المحرمات عند تولي الولايات العامة في الحكومات المعاصرة	111
الردّ على من فصل السياسة عن الدين	115
المنظور الشرعي لمفهوم الجهاد	117
الرَّد على من أغلق باب الجهاد !	118
الحرب على الإرهاب والتطرُّف	119
معاملة الشيخ وعلاقته مع تلاميذه	122
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	123
يا حنظلة ساعة وساعة	124
نصيحة الشيخ لشباب الدعوة	125
الفهرس	129

تم بحمد الله

سابعاً: صاحبي الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق يوسف:

عندما حللت في المدينة، وتعرفت على أهلها قابلت الشيخ عبدالرحمن، وكان من الشباب الذي يطيب لك صحبتهم، وبعد تقابلنا لأول مرة انعقدت وشيجة محبة وأخوة بيني وبينه، ودعاني إلى الخروج معه ومع المجموعة التي كانت تخرج معه إلى مساجد المدينة، وانتظمت مع تلك المجموعة، فكنا نجول في مساجد المدينة، ولا ينقضي عام إلا وندخل كل مسجد في المدينة، وكنا نخرج سوياً إلى موقع معركة أُحد، ونمكث هناك ساعات، وخرجنا سوياً إلى العمرة مرات، وخرجنا إلى الحج أيضاً عدة مرات، وخرجنا سوياً في رحلاتنا إلى مدينة بدر ومستورة، وأقمنا هناك المخيمات، وصحبنا في رحلاتنا شيوخ كثيرون، وكانت ليالي تلك الرحلات منتديات علمية جامعة، وكان عبدالرحمن من أنشط الطلبة في تلك الرحلات والمنتديات. وزرت الشيخ عبدالرحمن في داره، وتعرفت إلى والده، وتعرفت زوجتي إلى والدته، وكان والده من حفظة كتاب الله، ومن الذين جاهدوا في فلسطين، وقد سقط أحد أولاده على ثرى فلسطين، نسأله تعالى أن يكون شهيداً.

وقد كنت أجلس في الحرم كثيراً أنا وعبدالرحمن وبعض الطلبة من فلسطين والعراق والسودان وغيرها، وكانت صلتنا بالشيخ عبدالعزيز بن باز قوية، ولكننا لم نكن ننقل له شيئاً مما يدور حولنا، ولم يكن هو يطلب منا ذلك، وقد سقط الذين كانوا يقومون بمثل هذا الدور، وقد سماهم الطلبة بالجواسيس، ولم نوصم بهذه الوصمة بحال.

وقد كان لنا أنا وعبدالرحمن مجال طيب في الدعوة إلى الله، وبعد إخراجنا من السعودية وحلولنا في الكويت استمرت أخوتنا طويلاً، وبقيت حتى خرجنا من الكويت بعد احتلال صدام لها، ولا زلت أزوره عندما أزور الكويت، ونسأل الله أن يجمعني به في الدنيا على طاعته، وفي الآخرة في مستقر رحمته.

This is trial version
www.adultpdf.com

وكان الشيخ عبدالرحمن من الذين عنوا بالعلم، فنهل من شيوخه: الشيخ عبدالعزيز، والشيخ ناصر، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي درس عليه في الجامعة الإسلامية.

وكانت للشيخ عبدالرحمن رؤى حسنة طيبة، فقد حدثنا في صبيحة يوم ونحن في سجن المدينة أنه رأى نفسه في مسجد، ووصف لنا المسجد الذي رآه، وكان هذا المسجد هو المسجد الذي عُيِّن فيه لما ذهب إلى الكويت، وقد كان مطابقاً للوصف الذي رآه في الرؤيا.

ورأى مرة أخرى أنني وإياه دخلنا حقولاً من القمح متفاوتة الطول، وذهبنا إلى الكويت، وكانت الحقول التي رآها في الرؤيا هي النشأ المسلم الذي تكون في الكويت بفضل الله ومنّته.

المطلب السادس
علماء عرفتهم ولم أدرس عليهم

لقد التقيت عدداً كبيراً من المشايخ الذين درست عليهم في الرياض أو صحبتهم في المدينة المنورة، ومن أفاضل العلماء الذين لقيتهم الشيخ عبدالمحسن العباد، والشيخ أبو بكر الجزائري.

وحضرت في الرياض على الشيخ العلاّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ خطب الجمعة التي كان يلقيها في الجامع الكبير وسط مدينة الرياض، وكنت أصلي بعض الصلوات خلفه في مسجده في منطقة «ذحنة» وحضرت دروساً قليلة كان يلقيها في مسجده، وزرته في منزله عدة مرات صحبة أخي محمد، وكان للشيخ محمد دور كبير في إقامة دروس العلم في الرياض.

وعرفت في الرياض فضيلة الشيخ العلاّمة عبدالرزاق عفيفي رحمه الله تعالى، وكان مصري المولد، سعودي الجنسية، وكان من العلماء الأعلام، وكان له مجلس في منزله بعد المغرب، وقد كنت أذهب إليه صحبة أخي محمد في ذلك المجلس.

This is trial version
www.adultpdf.com

ومن المشايخ الذين درست عليهم في السنة الأولى في كلية الشريعة ابن قريتنا فضيلة الشيخ يوسف أبو جفال، وكنا نزوره أنا وإخوتي في منزله، وهو شيخ لطيف المعشر، يطيب لك صحبته والجلوس في مجلسه، وكانت له لفتات حسنة فيما يحدث به من يجالسهم، رحمه الله رحمة واسعة.

والتقيت في الكويت بالشيخ حسن أيوب رحمه الله تعالى، وقد كان مجتهداً كثيراً في التدرس في المساجد كما كان يقوم بخطبة الجمعة في بعض المساجد، وتعرفت في الكويت إلى فضيلة الشيخ عبدالله عقيل، وحضرت كثيراً لقاءً أسبوعياً حافلاً في منزله، وكثيراً ما كان يدعو بعض الدعاة إلى ذلك اللقاء، وكان يقرأ في ذلك اللقاء بعضاً من تفسير في «ظلال القرآن».

وقد عمل فضيلة الشيخ عبدالله عقيل من خلال عمله في وزارة الأوقاف على استضافة جمع من العلماء الأعلام والدعاة البارزين للمحاضرة هناك، من أمثال الشيخ الدكتور عبدالكريم زيدان، والشيخ محمد أبي زهرة، وغيرهما.

وقد قابلت بعض أهل العلم، منهم العلاّمة الشيخ محمد بهجت البيطار، وقد زرته في مسجده بعد صلاة الجمعة في دمشق، وجلسنا إليه حتى انصرف، وقابلت في سوريا الشيخ عبدالرحمن الباني. ومن العلماء الذين التقيت بهم كثيراً فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، وقد كنت في القاهرة عندما تمت مناقشته في رسالة الدكتوراه في موضوع الزكاة، وحضرت مع جمع كبير مناقشة الرسالة، وكانت مناقشة ممتعة، وكان لي حظ كبير في لقاء فضيلته على هامش مؤتمرات كثيرة ضمّتني وإياه، وقرأت بعض كتبه وفتاويه، وسعدت بالاستماع إليه في عدة محاضرات ولقاءات. ومن العلماء الفضلاء الذين التقيتهم مرات ومرات فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وقد قدّر لي أن أدعوه إلى المحاضرة في كلية الشريعة بالرياض، ثم بعد ذلك في منتدى الجامعة الإسلامية، وقدّر لي أن ألتقيه في قطر في شهر رمضان الكريم، وكنا مدعوين من وزارة الأوقاف القطرية، وكان رحمه الله يرتجل خاطرة في كل يوم

This is trial version
www.adultpdf.com

بعد صلاة الفجر، قبل أن ننطلق صحبته إلى مسيرة على الأرجل لمدة ربع ساعة. والتقيت الشيخ الفاضل زهير الشاويش، والتقيت به بعد ذلك كثيراً، في الكويت، وفي بيروت، وفي عمان، وانعقدت بيننا مودة وصحبه، وكم تمنيت عليه أن يترجم لنفسه، فالشيخ زهير له ذكريات طويلة وأصيلة في الزمن الذي عاش فيه.

وفي أثناء دراستي في الأزهر تعرفت إلى جمع من علمائه، وأكثرهم ممن كان يدرس في كلية الشريعة، منهم فضيلة الشيخ عبدالغني عبدالخالق، وشقيقه فضيلة الشيخ مصطفى عبدالخالق، وفضيلة الشيخ محمد أبو النور زهير، وله مؤلف قيم في أصول الفقه في مجلدين، وغيرهم. وتعرفت إلى بعض الدعاة وصحبتهم من أمثال الشيخ سعيد حوى، والداعية فتحي يكن، والداعية فيصل مولوي وصاحبه الداعية إبراهيم المصري، والداعية المجاهد الدكتور عبدالله عزام رحمه الله، والداعية فضيلة الشيخ الدكتور همام سعيد والشيخ الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس ومن الأعلام الذين صحبتهم في العمل الجامعي الأساتذة محمد نعيم ياسين ومحمد شبير، وعلي الصوا.

المطلب السابع
الرحلة إلى السودان

كنت على علاقة وطيدة في المدينة المنورة مع شيخي الشيخ محمد عبدالوهاب البنا، وصاحبي الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، وكلاهما مصري الأصل حاصل على الجنسية السعودية، وكان يرتبط بنا ارتباطاً وثيقاً بعض الطلبة من فلسطين والسودان، وقد نشأت في أذهان بعض هذه المجموعة الخروج إلى الدعوة إلى الله خارج المدينة، بل خارج الجزيرة العربية، وقد وقع اختيارنا على دولة السودان، لنقضي فيها إجازة الصيف في عام ١٩٦٣، ومع أن إمكاناتنا المالية ضعيفة، فقد عزمنا على القيام بالرحلة، والاقتصاد في الإنفاق المالي، وانطلقنا في كوكبة قوامها ستة أشخاص.

وتضم هذه الكوكبة بالإضافة إلى فضيلة الشيخ محمد عبدالوهاب البنا، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: الشيخ أحمد صالح، وهو فلسطيني يحمل الجنسية

This is trial version
www.adultpdf.com

الأردنية[1]، واثنان من السودان هما السر كمال الدين وربيع مزمل، وكلهم كانوا طلبة إلا أنا والشيخ البنا.

ركبنا الطائرة وقطعنا البحر الأحمر لنحط على مدينة بور سودان حاضرة السودان على البحر الأحمر، ونزلنا في أحد مساجدها، وكان اختيارنا للنزول في المساجد لسهولة التواصل مع الناس من جهة، ولتوفير المال من جهة أخرى، وقد عهد إليّ بتولي الإنفاق المالي على المجموعة.

وقد كنا نضع حاجاتنا وأغراضنا في إحدى الغرف التابعة للمسجد إن كان هناك مثل هذه الغرف، وننام في المسجد أو في باحته إن كان له باحة فقد كان الوقت صيفاً، وقد كنا ننتشر في مساجد المدينة التي نحلُّ بها، في صلاة الجمعة، وفي صلاتي المغرب والعشاء، حيث كنا نتوزع كل اثنين في مسجد، وأحياناً نكون فرادى.

وقد كنا ندعى للمحاضرة في النوادي، وهي كثيرة في السودان، ويؤمها السودانيون على اختلاف مشاربهم، ولدى السودانيين صراحة عجيبة في طرح ما يتبنونه من آراء ومذاهب عقدية أو فقهية أو سياسية، ومع اختلافهم الشديد فيما يطرحونه في منتدياتهم، تراهم يخرجون متوادين كأن لم يكن بينهم شيء، وهذا الذي رأيته في السودان لم أجده في البلاد التي خبرتها كفلسطين والأردن وسوريا والسعودية وغيرها.

ولعلنا بخروجنا هذا أحيينا ما دعانا الله إليه في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] فقد كنا نتفقه في الدين في كل يوم من أيام رحلتنا، لقد كنا نسمع إلى شيخنا الشيخ محمد عبدالوهاب أو إلى الشيخ عبدالرحمن وهما يحاضران، ولم يكن هناك ما يبعدنا عن الاستماع لأننا متفرغون للخروج بعيداً عن المواعيد والالتزامات،

(١) وهو من قرية «بيت إيبا» الواقعة قرب مدينة نابلس.

This is trial version
www.adultpdf.com

وكنا نلتقي بالدعاة ونستمع إليهم، وكنا نلتقي بالمخالفين ونحاورهم، فتحدث في المدينة التي ننزل بها حركة جيدة تجاه العمل بالإسلام، وقد كان سندنا في كل مكان ننزل به جماعة أنصار السنّة، وقد كنا نجد وقتاً طويلاً للقراءة، والتحاور فيما بيننا فيما يشكل علينا، كما كنا نجتهد في قراءة القرآن وحفظه، ولم يكن يفوتنا أن ننطلق إلى مشاهدة معالم المدينة التي ننزل بها، وكثيراً ما خرجنا إلى الحدائق التي تقع على النيل، فنقضي الفترة الصباحية نمرح ونتداول الحديث، ثم نتناول طعاماً لا يكلفنا كثيراً لأننا كنا نحضره بأنفسنا.

وقد كانت مدة الرحلة كافية لتخرج المشاركين فيها رجالاً يعتمد عليهم في الدعوة إلى الله ومواجهة الخصوم الذين انحرف بهم المسار، وفي الوقت نفسه لنتعرف إلى كيفية صنع الطعام وتحضيره، وغسل الملابس، وكنس المنزل الذي نحل به، وقد كنا ندعى في سفرتنا هذه في مختلف البلاد التي حللنا بها، دعانا السفير السعودي في الخرطوم مع ثلة من العلماء الأخيار، وتناولنا العشاء على مائدته، ودعينا من قِبَل الدعاة في ديارهم، ودعينا من قِبَل تجار كرام هنا وهناك.

وكان يقع لنا وقائع طريفة بين الفينة والفينة، فمن ذلك أننا بعد أن وصلنا الخرطوم ورجعنا إلى المكان الذي نسكنه وجدت أن أمراً قد دُبِّر بليل قضى بعزلي عن تولي الإنفاق على المجموعة، فسُحب مني المال بمقتضى ذلك القرار، وسُلِّم لأحد الإخوة، وكان الداعي إلى ذلك أنني مقتصد في الصرف والإنفاق، وقد توسع وزير المالية الجديد بالإنفاق، وأرضى الأذواق، وقضى على العهد الذي بخلت فيه بالإنفاق عليهم، ولكنهم بعد أسبوع واحد بدؤوا يتخوفون من العهد الجديد، فالمال الذي بين أيديهم صُرف منه في أسبوع واحد ما يساوي الأسبوعين اللذين توليت الإنفاق فيهما، وقد أبيت العودة إلى تولي الميزانية مرة أخرى، وقد بقي تولي الإنفاق في تلك الرحلة مثار سخرية وتندر في أثناء الرحلة وبعد انقضائها.

ومن الطرائف التي مرت بنا في رحلتنا أن أحد الإخوة البسطاء دعانا لمنزله لطعام الغداء، فتبسطنا معه في الحديث وسألناه عن أهله، فعلمنا أن لديه بنات في

This is trial version
www.adultpdf.com

سن الزواج، فخطبنا إحدى بناته لأخينا أحمد صالح، فسارع الرجل بالإجابة وتلبية الطلب، فامتد بنا الحديث إلى بعض التفاصيل، وحمل أحمد الأمر على أنه جدَّ، فكان يغلي غلياناً، ويهددنا سراً بأنه سيرحل ويترك الغداء، بل يترك المدينة كلها إن أصررنا على إتمام هذه الصفقة، وقد تلطف بعضنا مع أخينا صاحب الطعام، وأخبرناه أن الأمر يحتاج إلى مشاورة، وبقيت الواقعة قصة تروى، ويتندر بها في كثير من مجالسنا بعد ذلك.

ومن الطرائف اللطيفة أننا خرجنا مرة إلى حديقة على ضفاف النيل للنزهة والاستجمام في يوم من أيام رحلتنا تلك وأخذنا معنا غداءنا، ووجدنا على شاطئ النهر صياداً اصطاد من السمك مقداراً طيباً فاشتريناه منه، وكان قد تخلف عنا الشيخ محمد البنا، وانتظرناه طويلاً حتى ظننا أنه لن يحضر، فأكلنا كل ما أحضرناه من المدينة وما شويناه من السمك، فما انتهينا إلا والشيخ قادم إلينا، ولم يبقَ معنا شيء من الطعام، فحدثناه عن الطعام الوفير الذي قضينا عليه في غدوتنا تلك، وكان فيه روح دعابة، فضرب لنا مثلاً بالهر الذي أكل ثقل وزنه لحماً، فلما وزنوه لم يجدوا وزنه قد زاد شيئاً.

وكنا نركب القطار يوماً، فمررنا بقرية فقال لنا أحد الإخوة الذين يصحبوننا من أهل السودان: هذه قريتي، وهي تدعى «كبوشية»، وهي قرية صغيرة، وحدثنا أن بعض وجهاء القرية اجتمعوا يوماً، وتباحثوا في أمر القرية، وخاصة كثرة النساء العوانس في القرية، بسبب غلاء المهور، وكثرة تكاليف الطعام، وقرروا أن يكون المهر مائة جنيه، وأن يذبح خروف واحد، ومن تجاوز فلا يُحضر أحد زواجه، ويقاطع، وقد خالف أول من تزوج بعد ذلك، فقاطع أهل القرية حفل الزواج، فارتدع الناس، والتزموا، فلم يمض كبير وقت حتى أقدم الشباب على الزواج، ولم يبق من العوانس إلا القليل.

والسودان بلد كانت تنتشر فيه الخرافة، وتكثر فيه المذاهب الصوفية البعيدة عن الصواب، وقد اطلعنا على بعض كتب الفِرَق التي انحرف بها المسار، فوجدنا

This is trial version
www.adultpdf.com

فيها طامات عظيمة، فصاحب هذه الطائفة يأمر أتباعه بدعائه ومناداته إذا حلت بهم الكربات والمصائب، وفي ذلك يقول:

إذا كنـــت في هـــم وغـــمٍّ وكربتـــي فنادني أيا مرغني أنجيك من كل كربتي

وهؤلاء لديهم بعض الأدعية والأذكار يزعمون أنها أفضل من كل ذكر فوق ظهر الأرض بألوف المرات.

وقد كنا ندخل بعض المساجد، فيكون الإمام منهم، فنجد صعوبة في الحديث فيها، ومن عجب أن بعض شيوخهم يكون في المسجد، ولا يصلي مع الجماعة، مدعياً أنه بلغ درجة عالية في الإيمان، بحيث ترفع عنه الصلاة.

وقد دخلنا السوق مرة فوجدنا فيه من يبيع الحروز التي تستعمل للوقاية من النار، والحروز التي تزيل الأمراض، والحروز التي تحفظ الولد، وكانت قيمة الحرز الواحد بضعة قروش، وقد قلت للبائع: سأعطيك ثمن الحرز الذي يمنع النار جنيهاً إذا أنا أشعلت فيه النار، فلم تشتعل، فثار وأرغى وأزبد، فقلت له: إذا كان هذا الحرز لا يمنع النار عن نفسه، فكيف يمنع النار عن غيره.

وكنا مرة في مسجد، فرفع الأذان، فإذا بأحد الحاضرين يتلوى بطريقة صعبة، فلما انتهى الأذان أنكرنا عليه فعله، فادعى أن هذا من أثر الأذان، فقلنا له: فلم لم يفعل الرسول ﷺ ولا صحابته فعلك؟

وقد ثار بعض المخرفين في بعض المدن وأرادوا منعنا من الحديث في المساجد، ولكن الذين عندهم علم ومعرفة بالحق، وقفوا في وجههم، وأسكتوهم.

وأراضي السودان أراضٍ خصبة، ولو كان السودان مربوطاً بشبكة طرق متميزة لاستفاد أهل السودان في نقل بضائعهم، ولانتعشت الحياة في تلك الديار أيما انتعاش، وقد سرنا في القطار في إحدى سفراتنا في السودان ليلاً، وكان كل همي عندما توقف القطار أن أنطلق إلى الحقول التي يسير القطار فيها لأتبين نوعية

This is trial version
www.adultpdf.com

الأشجار التي نسير في وسطها، فوجدتها حقول من البامية، الواحدة منها كالشجرة، فلما سألت، قالوا: إنها تنمو في تلك المناطق بنفسها.

وكنا نخرج في بعض المدن إلى الحدائق، أو نجلس في مسيرتنا في منطقة برية ذات أزهار وشذى، مونعة أشجارها، مورق نباتها، تجلس فيها، فلا تملك إلا أن تردد قول الشاعر:

تفكر في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لُجَيْنٍ شاخصات ... بأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأنَّ الله ليس له شريك

وكان السودان ينعم في ذلك الوقت بخيرات كثيرة، وكانت الأسعار رخيصة، فالتنكة الكبيرة من السمن الممتاز تساوي بضعة جنيهات، والحليب في بعض مناطق السودان يوهب من غير ثمن، والقطن النظيف الممتاز تشتري منه ببضعة جنيهات ما يكفي صنع فرشة كبيرة.

ولم يقدر لي أن أدوِّن ما جرى في تلك الرحلة في حينه، ولم يبقَ في ذهني عنها إلا ما دوّنته هنا، ولكنني وأنا أدوِّن هذه المذكرات وجدت خطاباً من الشيخ عبدالرحمن أرسله إليَّ في الرحلة التالية التي خرجوا فيها إلى السودان، ولم أستطع الخروج معهم فيها بسبب مشكلة جرت في عدم حصولي على الإقامة في ذلك الوقت.

وقد سافرت المجموعة نفسها في العام التالي إلا أنا، وسافروا على أن ألحق بهم بالطائرة إلى الخرطوم بينما هم يسافرون عن طريق بور سودان بالطائرة ثم يتنقلون من مدينة إلى مدينة بالقطار، وهذا يستغرق أسبوعاً كاملاً، ولكنني لم أستطع السفر والالتقاء بهم، لعدم حصولي على إقامة في تلك المدة، وأرسلت لهم رسالة أنبئهم عن تعذر سفري إليهم، ورد الشيخ عبدالرحمن على رسالتي، أثبت هنا نصها، وهي تصف شيئاً من رحلتهم، وهذا الوصف فيه بيان مماثل للرحلة التي كنت فيها في عام سابق، فالرحلتان هدفهما واحد، والمشاركون فيهما هم هم باستثنائي.

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن عبدالخالق يوسف إلى الأخ الكريم عمر سليمان الأشقر، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله تعالى اللطف بنا وتوفيقنا إلى ما يحب ويرضى.

أخي: وصلت رسالتك وتسلمتها بعد صلاة الجمعة في مسجد أنصار السنّة من يد الشيخ الهدية، وبعد أن كنت قد تكلمت كلمة بعد الصلاة، ولست بحاجة إلى أن أصف لك ما أحدثته من ذهول عندي، حتى إني لم أستطع أن أفهم منها إلا أنك مُنعت من السفر، وكنا في هذا اليوم مدعوين جميعاً في منزل الزبير عبد المحمود. وعلم الإخوان بالنبأ، فامتلأ الجو كله بالكآبة والحزن، بل والأسى، وعيف الطعام، حتى إن أخاك أحمد لم يستطع أن يطعم إلا مجاملة للدعوة، وحاولت أن أكتب إليك فوراً، ولكني لم أستطع، ثم حاولت في عشية يوم السبت، وعدت إلى رسالتك، وإذا بها ما لا يطاق، وأصبحت كاللاهث الذي يريد أن يتمسك ولو بقشة لينجو من الغرق، فدعوت الله - تبارك وتعالى - ولكن لم أستطع أن أجمع نفسي لدعوة مفهومة واضحة، وحاولت أن أكتب، وكتبت لك صفحة تبينت أخيراً أنني عاجز عن التعبير فيها عن نفسي أو بالأحرى عاجز عن أن أكتب شيئاً تفهمه.

أخي عمر: أرجو الله تعالى أن لا يحرمنا من إخوتنا وصحبتنا في مدينة رسوله عند هذا الحد، فلئن كان يؤسينا أن نسير في طريق واحد إلى الله تبارك وتعالى فإن الأيام تزيدنا معرفة بفداحة العبء، وثقل الأمانة، وقلة الزاد، وضعف هذه النفس، وتقلبها وأهوائها التي ألاقي منها الأمرين.

أخي عمر: لا أملك اليوم من قوة إلا أن آوي إلى الركن الشديد، وأبتهل إليه أن يؤوينا إليه، ويحيطنا بكنفه، ويرعانا برعايته، وأن يحفظ هذه القلوب الخائفة

This is trial version
www.adultpdf.com

الضعيفة أن تحطم إذا لاقت ما لا تقدر عليه، وأن يربط عليها برباط الإيمان، وأن لا يزيفها بعد أن هداها الله - تبارك وتعالى - وأملي في الله أن نلتقي في المدينة المنورة قريباً بعد أن يحبط الله كيد الخائنين، وحسد الحاسدين، ولست - إن شاء الله - بحاجة إلى أن تسمع مني نصائح الصبر والإيمان، فلو كنت في مكانك ما صبرت كصبرك، وما تجلدت كجلدك، وإن الله ناصرك ومؤيدك، وما علينا إلا تقواه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق:٥].

أخي عمر: أظنك اليوم بحاجة إلى معرفة ما تمّ من أمرنا، وما أصبنا في رحلتنا، فأنا أعتقد أن قلبك معنا إن شاء الله تعالى «إن بالمدينة أقواماً...» الحديث.

فأولاً: نحن الآن في يوم الثلاثاء صباحاً في الخرطوم، وصلناها في منتصف ليل الخميس الماضي، وكان أملنا أن نلتقي بك في اليوم التالي يوم الجمعة، ولكن وصلتنا رسالتك، ولم تصل أنت، وهذا اليوم - والأمر لله من قبل ومن بعد - نزلنا ليلاً في مسجد عبدالمنعم، ونمنا ساعة واحدة قبل الصباح بعد أن أدخلنا متاعنا في الغرفة التي تذكرها جيداً، وصلينا الصبح مع الجماعة، ونمنا بعد الصباح نوماً طويلاً، وصنعنا طعاماً للغداء، وتكلم الشيخ في مسجد عبدالمنعم، وعلم الإخوان بنا، وتوافدوا علينا، وفي المساء كنا موزعين في المساجد كعادتنا، وباختصار نشاطنا في هذه الأيام كنشاطنا في الرحلة السابقة من حيث الدعوة، والأمر الجديد أننا تكلمنا مع الإخوان لإيجاد مركز عام للجماعة، وكان أن دعينا في منزل أحد أنصار السنّة، واسمه أمين، ودعا فيه غالبية البارزين من أنصار السنّة، وعرض البنا هذه الفكرة التي كان قد مهّد لها بكلام مع بعض الأفراد.

وهنا ظهرت لنا أشياء ما كنا نتوقعها إطلاقاً، فلقد ظهرت لنا حقيقة الشيخ الهدية الذي أضاع أنصار السنّة بتشبثه بهذه الرئاسة، والذي دار في الاجتماع أطول من أن أستطيع الكتابة فيه، وحديثه بالمدينة معكم إن شاء الله تعالى.

This is trial version
www.adultpdf.com

وخلاصة الأمر أن الهدية ابتدأ يهاجم أفراد أنصار السنّة في أنهم لا يفون بالاشتراكات له، ولذلك فإنه تنازل عن المركز العام القديم الذي كان يستأجر بمبلغ (١٢) جنيهاً، والمركز في نظره دار إدارة، وليس عملاً ونشاطاً، وابتدأ يصب جام غضبه على جماعة الأنصار في «السجانة» الذين استطاعوا تكوين جامع لهم، وهذا العمل الضخم من التعليم والتجميع الذي يعتبر بحق عملاً مجيداً، وأما هو بأم درمان فقد أمات الدعوة كلية إلى السنّة. ومع ذلك يقول: إن المركز العام موجود، ومعنى موجود أن أفراده موجودون، وكنت أفكر أن الأفراد يزيدون مثلاً عن عشرة أو خمسة عشر، فإذا بهم اثنان وهو ثالثهم، ومع ذلك فهم لا يدفعون اشتراكاً منذ سنتين، ويقول: لماذا ندفع اشتراكاً، لقد تنازلنا عن الدار، لأنه لا يوجد من يدفع الاشتراك لنسدد به إيجار الدار، هذا مع النزق والغضب الشديد وتكييل الاتهامات لكل شخص يعارضه أو يفهم من كلامه أنه يعارضه.

هذا شيء ووجدنا أن الأنظار متجهة إلى مصطفى ناجي الإمام الحالي بمسجد أنصار السنّة بالسجَّانة، وأنه هو الفائز بالانتخابات التي يزمع عملها (١٠٠٪) إن كنا سنشكل مركزاً عاماً للأنصار، وهذا هو ملخص دراستي لمصطفى ناجي:

أ- استمعت له في خطبة الجمعة في مسجد الأنصار عنوانها: البر بالوالدين، فإذا به يأتي بالآيات والأحاديث ويحللها تحليلاً طيباً، ثم يشرحها بالعامية الدارجة شرحاً في أسلوب دراسي مفيد، ويحيط بموضوع البر بالوالدين من جميع نواحي.. إذا كانوا أحياءً، أو إذا كان أحدهما حياً، أو إذا ماتوا.. مع استنتاجه إلى اعتراض في نفس الخطبة والإجابة عليه.

وخصص القسم الثاني من الخطبة - الخطبة الثانية - للأحاديث فذكر أكثر من سبعة أحاديث في البخاري ومسلم والنسائي والحاكم مع شرحها والتعليق عليها وعزوها إلى المخرجين، وذكر الصحابي، كل ذلك بأسلوب هادئ رزين هو إلى الدرس أقرب منه إلى الخطبة، أو نستطيع أن نقول: ليس خطبة، بل هو درس ممتع مفيد.

This is trial version
www.adultpdf.com

ب- تبين من ملاحظة أبداها أنه لا يجوز لأي أحد من أنصار السنّة أن يعادي شخصاً أتى للكلام بمسائل في الفقه لا يعتقدها الأنصار، إلا إذا انتهى من كلمته، فإن الكلام يحتاج إلى ردّ في الحال أو أرجئ إن كان الأمر يحتاج إلى بحث في المصادر إلى بعد المغرب حيث يجلسون غالب الأيام للدرس والمناقشة، وتستطيع بهذا أن تعلم جوانب كثيرة من شخصيته.

ج- كثير المداعبة والمزاح إلى حد الإفراط، حتى إنك لا تجده إلا مازحاً مضحكاً، وهذا كان الحجاب الذي أخفى عليّ أن أدرس شخصيته واضحة جلية، كما تبين لي من الأستاذ الهدية حيث ألقى بكل ما في نفسه أمامنا حين ناقشنا موضوع الرئاسة.

د- علمنا أن مصطفى ناجي لا يحب الرئاسة، بل هو طائع حتى أصغر شخص في مسجد الأنصار، فلو قيل له: إن مهمتك أن تكون كناساً وكفى لرضي بذلك، ولم يعارضه، وهذه ميزة قلما توجد في كثير من الرجال.

هذا كل ما استطعت جمعه عن هذا الرجل، وهي كما ترى معلومات سطحية لا تكفي للحكم عليه وفي صلاحيته أم لا.

والآن أنا أناشد البنا أن لا يتعجل في هذا الموضوع، وأن يرجئ أمر اختيار الرئيس حتى نذهب إلى مدينة الأبيض، فلقد علمنا أن فيها رجلين عاقلين للدعوة.

أحدهما: إسماعيل محمد الطاهر رئيس الغرفة التجارية، ذا منصب كما ترى، مع ما يبلغنا عنه من حب للدعوة وتفانٍ فيها، وكذلك شخص آخر يقال: إنه عالِم، وحتى نكون قد وضعنا الرئاسة عند رجل نعتقد فيه الصلاح، وكنا قد أعذرنا إلى الله عز وجل، وحاولت بكل قوتي أن أُؤجل ذلك إلى أن نعود إلى الخرطوم مرة ثانية بعد رحلة الأبيض، فخط «ينالا» مقطوع، وقد هدمت السيول وجرفت (٣٦٠) قطعة من القضبان الحديدية، والسفر يستغرق لو كان الخط سائراً أسبوعاً كاملاً في القطار، وكذلك نهر «الفاشر» في «كسلا» قد فاض، حتى دخل إلى الخط الحديدي،

This is trial version
www.adultpdf.com

وقطعه من هناك، فربما اقتصرت رحلتنا على «الأبيض»، و«كوستي» وضواحيهما، ثم عدنا ثانية إلى الخرطوم.

ولقد أفلحت في التأجيل نسبياً، وقد أصرّ الهدية على أنه لا بدّ أن يُنتهى منه سريعاً، ولا يُستدعى أحد لذلك من الضواحي والأطراف، والله أعلم بحقيقة مقصده، واليوم الثلاثاء نجتمع بمسجد أنصار السنّة كاجتماع تمهيدي لبحث الخطوات التي ينبغي اتخاذها لهذا الموضوع، والله أعلم ماذا سيتم عليه الأمر، وأخبرك إن شاء الله.

ثانياً: نزلنا بور سودان الجمعة، وصلينا الجمعة في مسجد أنصار السنة، ولم نتوزع على المساجد ليلاً، بل خطبت أنا بعد الجمعة، وبعد المغرب خطب ربيع وأحمد، وبعد العشاء البنا، وعصر السبت كنا نستقل القطار إلى عطبرة، الذي لم نجد فيه مكاناً قط، فوقفنا في رحلتنا إلى عطبرة هذه الرحلة الطويلة التي أثبت فيها أستاذنا محمد عبدالوهاب أنه شخص جدير بالتقدير، حيث يجلس ليلاً طويلاً في طرقة من طرقات القطار لا يستطيع أن يمدّ فيها رجليه، ينام هكذا والتراب يسفو في وجوهنا، وبالطبع لم يكن حالنا بأحسن من حاله، ولكن مثل هذا الرجل الكبير السن ضرب لنا مثلاً بتضحيته وشجاعته، ومما هو جدير بالذكر أن أنصار السنّة في بور سودان قد أضرت بهم سهام الخصومة، وأذهب ريحهم الاختلاف، فلا حول لهم ولا قوة، وعلمنا مشاكلهم وأرجأنا الحل، واجتماعهم على رئيس إلى حين عودتنا.

ثالثاً: نزلنا عطبرة، وقوبلنا مقابلة فاترة من جماعة النادي، ولم نستطع مقابلة القاضي في اليوم نفسه، وسجلنا الجوازات في البوليس.

وبعد المغرب كان الشيخ بالمسجد الجامع، وأنا بمسجد السكن الجديد وربيع بمسجد مسعود، وبعد العشاء كانت هناك محاضرة للشيخ في الصفات في النادي، ولكنها محاضرة لم يدع إليها أحد، ولم يركب لها ميكروفون، وكانت مفيدة، والحمد لله.

This is trial version
www.adultpdf.com

وسافرنا في صباح اليوم الثاني مباشرة إلى «شندي».

رابعاً: نزلنا شندي بعد الظهر، وذهبنا إلى المسجد الجامع، ولم نجد الأخ العدس، ووضعنا المتاع ونمنا مباشرة، حتى دون طعام، فإننا قد مضى علينا ست ساعات في القطار، أمضيناها في طرقته، ولم نجد إلا مكاناً واحداً نتبادله، وتنازل لنا شخص عن مكان آخر تبادلناه أيضاً.

وفي شندي توزعنا على أربعة مساجد ليلاً، وكان توفيق الله وتأييده وكرمه الذي لا نستحقه، والله لقد فتحت لنا القلوب، وأشرقت، واستطعنا إبلاغ الدعوة إلى التوحيد كاملة في أغلب مساجد هذه البلدة الهادئة الجميلة، وفي الليل وجدنا متاعنا قد نُقل إلى لوكاندة شندي، وتعشينا عند الأخ سيد أحمد العدس، هذا الشخص الذي أثبت أن الرجال مثله قليل، فقد أبى إلا الإحسان، ولا نستطيع إلا أن نشكره على ذلك، وندعو الله أن يجازيه بالإحسان.

وبعد ذلك تركنا شندي السابعة مساءً بالتوقيت الإفرنجي، وكان مستقرنا بالقطار هو الطرقة أيضاً، وحدث أغرب من ذلك، وهو أن الكمساري أصر على تنزيل متاعنا في شندي ما دام لا يوجد للعفش مكان إلا في الطريق، ولطف الله وركبنا كل قسم في جهة، وأدخلنا المتاع بعد جهد، ووصلنا الخرطوم في منتصف ليل الخميس الماضي، حيث ذهبنا إلى مسجد عبدالمنعم، ثم نقلنا إلى المعهد الديني (معهد عبدالمنعم) الذي أكتب لك منه الآن.

أخي الحبيب عمر، لعل هذه اللحظات مع هذه الرسالة تكون قد خففت عنك بعض الأسى لفراقنا، واعلم أن قلوبنا معك، وأن الله لن يحرمنا أجر الجالس في المدينة والمسافر إلى السودان

وفي هذا القدر القليل من الورقة أختمه بالسلام للنجل الكريم سليمان، وقل له يطول الظمأ يا بني، فسنة الحياة ظمأ وري، واجتماع وافتراق، وإني لأذكر الآن

This is trial version
www.adultpdf.com

أول كلمة سمعتها منك في مسجد علي بن أبي طالب بالمدينة، أتذكرها؟ لا مجال لذكرها الآن، فهذه هي الدنيا، وذلك هو الابتلاء.

أخي سلِّم لي على والدي كثيراً جداً، والأهل جميعاً، وخبرني في رسائلك القادمة عما تم في الأمر، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك: عبدالرحمن عبدالخالق يوسف

٣/ ٤/ ١٣٨٣هـ

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المطلب الثامن
بوادر الفتنة ورياحها العاتية

لقد كنت نشطاً أثناء وجودي في المدينة في مجالات كثيرة، باذلاً جهوداً متوالية للدعوة إلى الله مع بعض الإخوة الأحبة، ولم أكن منتمياً إلى تجمع ما، وبدأت رياح الفتنة تدور حولي وتعصف بي، ودعاني فضيلة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله أكثر من مرة، وأبلغني أن بعض الناس أبلغوه بأنني أعمل في حزب التحرير، فكنت أقول له: يعلم الله أنني لست من أتباع هذا الحزب، ولئن اعترفت بأنني من أتباعه أكون كاذباً، وإن أنا أنكرت فلعلك تظن أني إنما أنكر ذلك حرصاً على وظيفتي في الجامعة، فكان الشيخ يسكت عندما يسمع جوابي، ولذلك فإنني بادرت إلى الكتابة إلى الشيخ عندما قدر الله لي الخروج من المدينة، وقلت له في ذلك الخطاب: ها أنا أصبحت بعيداً عنكم، وأصبحت لا أرغب في دنيا أنت تملكها، فلا أخشى أن أطرد من الوظيفة، ولا أرغب في مجاملتك، ووالله إن الذي نقل إليك من أنني من حزب التحرير لكاذب، وليس لكلامه نصيب من الصحة، فأجاب رحمه الله بأنه لم يصدق ما نُقل إليه، ولكنه كان ينبئني بذلك من باب التبين الذي أمر الله به في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

وكانت هذه النغمة تتناقل في مجتمع المدينة عامة ومجتمع الجامعة خاصة، وكنت أحاول أن لا أنشغل بهذه التقولات، ولا ألتفت إليها بحال، وأقول: إن الزمن كفيل بفضح هذا الزيف وتجلية الحق فيه، ولكن جاء ما زاد في البلاء، فقد أكثر الشيخ عبدالعزيز بن باز في حديثه في المسجد النبوي عن المنكرات التي ظهرت في بعض أسواق المدينة، ومنها صور لنساء متبرجات تنفخ فتكون على شكل امرأة ناضجة كبيرة، وخرج في صبيحة يوم إلى السوق، وأنكر على الباعة فعلهم، ووعظهم بالتي هي أحسن.

This is trial version
www.adultpdf.com

وقد أثار فعله هذا طلبة العلم في مجتمع المدينة، وحرك من نشاطهم تجاه ما رأوه في أسواق المدينة المنورة، وقد دعيت بعد ذلك بأيام أنا والشيخ عبدالرحمن إلى مجلس ضم مجموعة من طلبة العلم، وكان الموضوع هو متابعة العمل الذي قام به الشيخ عبدالعزيز بن باز، وكان رأي الذين دعوا إلى ذلك الاجتماع أن الدعوة وحدها لا تكفي، بل لا بد من تغيير المنكر باليد، وقد عارضت أنا والشيخ عبدالرحمن هذا التوجه، فالإنكار باليد لا يجوز في مثل هذه الحال، وقد يحدث مفاسد من القتل والجرح وإضاعة المال، وكل الذي يمكن فعله هو الإنكار باللسان كما فعل الشيخ عبدالعزيز، وبعد حوار طويل أظهر الذين دعوا لذلك الاجتماع الاقتناع، وأبطنوا المخالفة.

واتفقنا بعد ذلك الحوار على أن أقوم أنا والشيخ عبدالرحمن وآخر بالحديث في المسجد النبوي لمدة أيام لبيان حرمة المدينة المنورة وحرمة الإحداث فيها، وبعد صلاة الفجر في اليوم الثالث، وبعد تمام الحديث في أول المسجد وآخره ووسطه نجتمع عند حلقة باب السلام، لنخرج إلى السوق الممتد من باب السلام إلى مسجد الغمامة للإنكار على أصحاب المتاجر.

فلما وصلنا إلى أول السوق، فوجئنا بجمع كبير تسلح بالعصي أخفاها تحت الثياب، وكبر أحد الذين دعونا عند مدخل السوق، وقاموا بإفساد السوق من أوله إلى آخره، وأذهلتني المفاجأة، فلم يكن ذلك ما اتفقنا عليه، وهذا الأمر دُبِّر بليل بعيداً عن الاتفاق الذي جرى بيننا وبينهم، ونزل الجيش وأحاط بمنطقة السوق والمسجد النبوي، واقتيد الناس إلى السجون، ولم يطلب أحد مني أن ألحق بالمقتادين، ولكنني تبرعت من تلقاء نفسي إلى الركوب مع بعض الإخوة الذين سيقوا إلى السجن، وكان الدافع إلى فعلي هذا أنني أحد الدعاة الذين تحدثوا في المسجد، وحثوا الناس على الخروج للإنكار بالقول، فكيف أنسحب في ذلك الموقف الصعب، وظننت وأنا المتبرع بالذهاب مع المعتقلين بأني سأصلح الوضع، وأقول

This is trial version
www.adultpdf.com

الحق الذي سيؤدي إلى إنهاء تلك الفتنة، ولكن خاب ظني، فقد ألقي بي في السجن، ونسب إليّ أني أحد رؤوس الفتنة، ونجا الشيخ عبدالرحمن من الاعتقال، ثم جيء به إلينا بعد أيام، وأرسل إلينا من الرياض من حقق معنا أياماً طوالاً، وقد زاد عدد المعتقلين على الأربعين، وأفرج عن بعض هؤلاء سريعاً، إذ لم يكن لهم في هذا الموضوع ناقة ولا جمل، وبقي العدد يتناقص حتى لم يبقَ في السجن غيري وغير الشيخ عبدالرحمن وقلة قليلة لا تزيد على خمسة، وقد صدر في حق الشيخ عبدالرحمن أمر يقضي بسحب الجنسية منه، وتسفيره خارج الدولة، وكذلك تسفيري ومن معي إلى بلادنا، وسُفِّر أحد المشايخ إلى قريته في السعودية، وأمر بملازمتها.

وقد أكد المحققون أن المقدمين في هذه الفتنة جماعة من حزب التحرير، فقد أخبرني أحد الثقات الذين اطلعوا على التحقيق بذلك، ويعلم الله أن كل الذين نسب إليهم التخطيط لهذا الأمر ليس فيهم تحريري واحد، ويعلم الله أنني والشيخ عبدالرحمن لم نرضَ بما جرى في ذلك اليوم، وقد عارضنا هذا التوجه، وهو الإنكار باليد، ولم نرض إلا بالوعظ مرغبين ومرهبين، ثم وافقنا على الخروج إلى السوق للإنكار باللسان فحسب، ولكن الذين دعونا إلى الاجتماع الذي ذكرته، أخفوا عنا ما سيفعلونه، ولا أريد أن أثير على الناس باب شر في الحديث عن تفاصيل لا يزال بعض من قام بها أحياء، فالأمر قد مضى وانقضى، وأصبح ذكرى، وعند الله تجتمع الخصوم، وإن كان من خطأ، فإنا نتوب إلى الله ونستغفره، ونسأله أن يغفر لنا، ولا حول قوة إلا بالله.

ما وقع لنا في المدينة كان حدثاً كبيراً:

ما وقع لنا في المدينة المنورة كان حدثاً كبيراً، ولم نكن خططنا له وفق ما وقع عليه، وقد أخفى الذين خططوا له على النحو الذي وقع عليه الأمر عنا وخدعونا، واتفقوا مع بعض من طلبتهم وأحبائهم على الجري فيه وفق منهج اختطوه، وما كان لهم أن يفعلوا ذلك من غير رضانا، فلو صارحونا بما كانوا ينوون فعله لفارقناهم،

This is trial version
www.adultpdf.com

ولم نشاركهم، خاصة وأننا حاورناهم ليلاً طويلاً، مبينين لهم أن الإنكار باليد يُحدث مفاسد عظيمة، وقد أثر هذا العمل على أساتذة الجامعة وطلبة الجامعة وإدارة الجامعة، ولم نكن نستطيع في ذلك الوقت أن نذكر الحقيقة للمحققين ولا لغيرهم، فحُمِّلنا ما لم نخطط له، وما لم نقم به، وحسبنا الله، ونِعْم الوكيل.

وقد مضى زمن طويل على تلك الواقعة، ولم أسجل عنها شيئاً فيما مضى، ولم أنتصر لنفسي، فقد طلبت مني بعض الصحف الكتابة في الموضوع، فأبيت، وتركت الأمر كله لله العلي القدير، وقد وجدت في ملفي بعض الرسائل أرسل بها الشيخ عبدالرحمن إليّ في خاتمة تلك الواقعة، وهي تصور بعض ما جرى في ذلك الزمان، وقد ضاع جزء من الرسالة التي سأوردها، وضاعت رسائل أخرى كتبها إليّ، وسأورد ما بقي عندي منها.

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن عبدالخالق يوسف إلى الأخ الكريم عمر سليمان الأشقر، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته:

أخي، أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله تعالى لكم العون، وأن يمدكم بروح من عنده، وأن يأخذ بنواصينا إليه، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أخي وعدتك في رسالتي السابقة أن أكتب إليك رسالة مطولة، أبثُّ فيها بعض ما يعتلج في الصدر من شوق إلى اجتماعاتنا السالفة، ولقائنا الذي نسأل الله أن يجعله في سبيله، ومن أجل مرضاته، ولقد تأخرت في تسطير هذه الرسالة أيضاً مع العلم بأنني عشت بين سطورها، أو بالأحرى عاشت سطورها معي طيلة الأيام السالفة منذ سطرت لكم رسالتي السابقة، وحتى هذا الوقت الأحد (١٩/ ٤) فلقد عشت هذه الأيام أكتبها في قلبي، وأذكرك بها، فكان ذلك أنساً كبيراً لي في وحدتي في هذا البلد العجيب، ولعلي أجد عندكم العفو كما هو شأنكم معي في كل إساءاتي إليكم، فإنها لكثيرة.

ولقد كنت عازماً على الكتابة إليكم منذ رحيلكم، وذلك السبب سأذكره لك في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى، ولكنني فشلت في كل محاولة حاولت فيها الكتابة إليكم، فبعض المرات كانت تهرب الأفكار مني، ولا أدري ما أكتب لك، ثم أترك الكتابة بعد أن أكون قد سطرت سطراً أو سطرين، وفي بعض المرات غير ذلك.

أخي عمر، أحب أن أقول لك أولاً: إني آسف جداً، وأستغفر الله، وأسألك الصفح لبعض الإساءات والأخطاء التي صدرت مني يوم كنا سوياً في سجن المدينة المنورة، وذلك في أثناء مناقشتنا لبعض المسائل، لقد كان شيئاً مؤلماً حقاً أن يصدر مني ذلك، ولقد تألمت طويلاً لهذا علم الله ذلك، وأسأل الله أن يغفر لنا، ولعلي لا أعدم منكم صفحاً وسؤالاً لله لي بالمغفرة إنه سميع مجيب.

This is trial version
www.adultpdf.com

أخي الكريم عمر، لعلك في شوق لمعرفة ما تمّ لي للآن منذ فراقكم بالمدينة المنورة، سأكتب لك عن ذلك، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يبدلنا مكان الضعف قوة، ومكان الجبن شجاعة، حتى نصل إلى المرحلة التي يصفها الله عز وجل بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

ما كدتم تفارقون والأخوين العزيزين مصطفى وعبدالرحمن[1] غرفة السجن حتى تهاوى عندي كل شيء، وأصبحت في حالة لا يعلمها إلا الله، ومضت الساعات لذلك اليوم بطيئة رهيبة، وأصبت بثقل شديد في صدري، وكأن شيئاً يريد أن يحدث غير ذلك.

وقبل الظهر استدعيت لشعبة السجون، وطلبوا جواز الزوجة، فأخبرتهم أنه موجود مع الوالد، ولعله يأتي قريباً، وحسبت أن الأمر ينتهي عند هذا الحد، وأنهم سيتركونا يوماً أو يومين، ولكن لا أطيل عليك، فما كاد المغرب يأتي حتى أمر الأمير بتسفيري فوراً مكبلاً بالحديد إلى جدة، وانقلب صاحبنا مدير السجن أسداً يزأر - نسيت اسمه - : لا بد من سفرك الآن إلى جدة مكبلاً بالحديد، فاستسمحتهم في أن أذهب إلى المنزل لرؤية الوالد لتوكيله في أمر الأهل أو العم، وسمحوا لي على صورة عجيبة، فلقد أحضروا سيارة جيب بها خمسة جنود مع عريف السجن حامد، وأحاطوا بي، وذهبنا أولاً إلى منزل عمي، ولم أترك حتى للنزول من السيارة، ثم ذهبنا إلى منزل الوالد، ولم يسمح لي بالنزول من السيارة، فكتبت ورقة وأنا في السيارة للوالد، وأنا أسمع بكاء الإخوان داخل المنزل، وكان ذلك في صلاة العشاء تقريباً، ولكن لست أدري لماذا كنت مطمئن القلب إلى حدٍّ كبير، حتى إن بعض

(١) هما من الإخوة الذين كانوا معنا في السجن، وهما من فلسطين، وهما من قرية «عنبتا» درسا في المعهد التابع للجامعة، وحصل كل منهما على الشهادة الثانوية، وعملا بعد ذلك في الكويت في وزارة الأوقاف.

This is trial version
www.adultpdf.com

الجنود حولي اغرورقت أعينهم بالدموع، وأنا لم أجد فيَّ عضلة تختلج، لم يكن ذلك بالطبع شجاعة مني، وكان ذلك تثبيتاً من الله، أحمد الله على ذلك.

وبعد العشاء حضرت السيارة التي ستقلنا إلى جدة، سيارة أجرة، وجاءني الجندي المرافق، وأعطي القيد الحديدي الذي لم تمسه يداي، أو لم يمسس يديّ، والحمد لله، وذلك بمحض منّة الله تبارك وتعالى، وأُخرجت من المدينة، ولم أشعر أيضاً بأي لهفة على سفري، ولست أدري لم في ذلك الوقت.

وصلنا جدة قبل الفجر حيث سُلِّمت إلى رئيس الغفر الذي سلمني إلى عريف التوقيف، الذي سلمني بدوره إلى الشرطي الواقف على غرفة التوقيف، أو قل بالأحرى على «مقبرة الأحياء».

كان ذلك الشرطي يمسك بندقيته أمام الباب المؤدي إلى غرفة لا يتجاوز ارتفاعها عن الأرض (١٨٠ سم)، وقال لي: ادخل هنا، وكان الجو حاراً خانقاً، والعرق يتصبب، ونظرت فإذا في الغرفة ما يقرب من عشرين شخصاً، قد طرحوا على الأرض في وضع مهين، وبعضهم مربوط بالسلاسل إلى الباب، والبعض نائم وفي يده القيد الحديدي، وما كدت أقف على الباب حتى شممت رائحة قتالة، إنها أشبه برائحة الكحول المنبعث من خمر معتق، فرجعت إلى الخلف، وقلت للعسكري: اتركني هنا خارجاً حتى الصباح، فقال لي في لهجة رقيقة: إنني لا أستطيع ذلك، فلو جاء مدير الشرطة ورآك هنا لوضعني مكانك، ولم يكن بدٌّ من الدخول فدخلت، وبعد برهة شعرت بالغثيان الشديد، والرغبة في القيء، لقد كان منظراً مهولاً، ففي هذه الغرفة الصغيرة القصيرة السقف ينام هذا العدد الهائل مع أن نصفهم ينام على بلاط الأرض الذي ليس فيه جزء مستوٍ، بل مرتفعات ومنخفضات، مع طفح البحر على الجدران حوالي المتر ونصف المتر.

ادخلت فراشي، وجعلت أرقب هذا العالم المحيط بي، وكأنني في قبر عجيب، ولم أجد بدّاً من إلقاء نفسي على الفراش بعد أن صليت ركعتين لم أميزهما، ثم نمت

This is trial version
www.adultpdf.com

لصلاة الصبح التي صليتها بعد فوات أول الوقت، ثم رجعت إلى النوم، أو قل إلى الهروب، ولكن سرعان ما أفقت على هزّ كتفي، فإذا الوالد والشيخ عشماوي يوقظاني من النوم، وكنت من الإعياء بحيث لم أفهم منهما ماذا يريدان، ولم يفهما مني شيئاً، اللهم إلا قولي: إني إريد السفر، ولا أريد أن أبقى في مثل هذا القبر، وقاما سريعاً، فلقد كانت الرائحة سالفة الذكر لا تطاق، والمنظر يقطع نياط القلوب.

وما كادت دوائر الحكومة تفتح حتى كان الشيخ العشماوي جزاه الله خيراً والوالد الكريم أصدرا أمر وزير الداخلية برجوعي إلى المدينة المنورة لأداء الاختبار، وجاء إلى عندي مدير المكتب بنفسه، وكتب البرقية لأمير المدينة بذلك.

وما كاد الظهر يأتي حتى أعطيت جندياً لم أرَ في عالم الجنود مثله، رافقني مع الوالد والشيخ العشماوي إلى منزل أختي حيث تناولنا الغداء، ثم سافرت أنا والجندي عائدين إلى المدينة المنورة، وكان الجندي يحب أن أصل المدينة في الليل، لأقضي الليل مع أهلي، ولم أكن أنا في مثل عجلته، ولم نصل إلا الصباح، حيث ذهبنا أنا وهو إلى منزلنا بالمدينة، وتركته في منزل الأخ عبدالفتاح، ودخلت إلى الوالدة والأهل الذين لم يكونوا مصدقين برجوعي، وقد غادرتهم قبل ليلة واحدة للسفر إلى مصر.

وجلست معهم مطمئناً إلى أنني سأدخل الاختبار، بل سأخرج بالكفالة أيضاً، أي سأكون خارج السجن طوال مدة الاختبار، فاستبشروا خيراً. وفي حوالي الساعة الثانية ذهبت أنا والجندي إلى دائرة الشرطة، وأنا أظن أن الأمر لا يعدو ساعة أخرج بعدها عائداً إلى المنزل إذ معي أمر صريح من وزير الداخلية بخروجي حالاً لأداء الاختبار، وسرعان ما فوجئت بالأمر بي إلى السجن، المهم لقد كان رجوعي غريباً حقاً، فرئيس شعبة السجون ما كاد يراني حتى ضرب رأسه بيديه، ومدير الشرطة ما كاد يرى أوراقي حتى ضرب رأسه أيضاً كما أخبرني بذلك الجندي، ومع ذلك أصر أمير المدينة أنه لم يأت شيء من وزير الداخلية، ويسأله الشيخ عبدالعزيز إذن كيف رجع؟ فيقول: لا أدري، هكذا رجع. وقضيت بعد ذلك يومين في السجن، ثم أعاد

This is trial version
www.adultpdf.com

الشيخ عبدالعزيز سؤاله للأمير، فقال: الآن وصلنا برقية بحضوره الاختبار، فقال الشيخ: كيف سيحضر؟ هل سترسلون معه جندي؟ فقال: لا، يخرج بكفالة غداً أو بعد غد.

المهم لم يتركوني أخرج إلا مساء الجمعة، وبعد صلاة المغرب.

والآن تذكرت نكتة للشيخ البنا متعنا الله بحياته، فلقد جاء لزيارتي في يوم الجمعة بعد العصر على أمل أن نخرج سوياً، فقلت له: إنهم يقولون،: لا بد أن أصلي المغرب هنا، فقال بلغته المرحة: «قل لهم: أصلي لكم المغرب دلوقت «الآن» وأخرج» ثم ضحك.

المهم خرجت بعد المغرب، وكان بانتظاري الأستاذ عبدالحق الذي جاء ليأخذني بسيارته، فقلت له: إلى الحرم أولاً.

وذهبت إلى الحرم، يا الله، إنه لمنظر ممتع حقّاً !! أهذا هو الحرم!! وكأني أدخله لأول مرة، لقد ظهر لي الحرم مضيئاً جداً، وجميلاً جداً، حتى إنني لم أعد أطيق أن أفتح عيني من شدة النور، وعللت ذلك لخروجي من ظلام السجن، ثم ذهبت إلى المنزل، وعشت فيه أيام الاختبار، أحد عشر يوماً، وفي الصباح ذهبت إلى الجامعة، الجامعة الحبيبة.

ولكن ما كنت ألقاه من الناس شيء غريب حقاً، بعضه استطعت تفسيره، وبعضه لم أستطع تفسيره، إن الطلبة والأساتذة في الجامعة بين خائف منك، ومعظِّم لك، وشامت فيك، وشاعر بالخجل، وللأسف لم أجد الرجل الذي يسلم عليك بحرارة، ويقول: أيها الأخ، هذا هو الطريق فكن رجلاً، ولك سلف في من قبلك، وإننا معك، لم أجد من يقول هذه الكلمة التي كنت أنتظرها من كل أحد، فلم أجدها من أحد، مما جعلني أعتقد أنه حتى طلبة العلم يسيرون في غير الطريق السليم.

أخي عمر، إن هذا الأمر يحتاج منا وقفة طويلة، وتفكيراً عميقاً، ففهمنا لهذه النقطة يتوقف عليه سيرنا في طريق الله بحول الله وقوته.

This is trial version
www.adultpdf.com

إن العاملين في حقل الإسلام اليوم - إلا من شاء الله - وطلبة العلم الإسلامي لم يعودوا عارفين طبيعة الدور الذي عليهم أن يخوضوه للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فبذل النفس والمال في سبيل الله، والمحافظة على أخوة الإسلام، والعمل على ترابط المسلمين، أصبحت معانٍ معدومة تقريباً إلا ما شاء الله، وعلى كل حال، إنني أقدر مبلغ ما في ذلك من الصعوبة والإرهاق والمشقة والعنت، ولكن أصبحت أؤمن الآن أنه لن ينتصر الإسلام، ولن تقوم له قائمة إلا على جيل يؤمن هذا الإيمان ويحمل بين ضلوعه هذه العقيدة، أعني بذل النفس والمال في سبيل الله - تبارك وتعالى - وتسخير الحياة بكاملها من أجل الدعوة إلى الله عز وجل، والعمل على توحيد صف المسلمين، وفي ذلك كبح جماح النفس، بل ونسيانها وإهمالها، وتذليلها في طاعة الله عز وجل، وها أنا ذا أجد نفسي، وأنا أنظر إلى هذا المستوى الرفيع كالطفل الصغير الذي يقف تحت سفح جبل عظيم، ويحاول الصعود عليه، فيصعد خطوة، وينزلق أخرى، فهل سنصعد هذا المرتقى؟!

أخي عمر، إنه لشيء بديع حقاً أن نرى أنفسنا في يوم من الأيام وقد سخرنا الحياة من أجل الله تبارك وتعالى، وفي سبيله، إنه لشيء بديع حقاً أن ننسى أنفسنا، وأن لا يهمنا أمرها، وأن يكون همنا فقط إعلاء كلمة الله - عز وجل - فهل سنكون يوماً كذلك !!

ربِّ اللهمَّ إنك تعلم ضعفنا وعجزنا، وافتقارنا إليك، اللهمَّ إنا نسألك من طاعتك ما تبلغنا جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا برحمتك يا أرحم الراحمين، رب اللهم أبدلنا مكان الضعف قوة، ومكان الجهل علماً، واغننا بك، وارزقنا حسن التوكل عليك يا رحمن.

أخي عمر، والله لقد منَّ الله علينا بأكثر مما نستحق، وما زلت أسأله مزيد نعمته، ولقد والله وأنا أنظر إلى ما سلف من دروس، فأجد رصيداً ضخماً جداً، وقد

This is trial version
www.adultpdf.com

حصلنا عليه في تلك الأيام السالفة، لعل الله تعالى يفيدنا منها، وأن يكتبها لنا في سجل حسناتنا.

أخي الكريم، قلت لك: إن الشيء الذي ساءني جداً هو حالة الطلاب والأساتذة، نعم، الأساتذة الذين لم أجد منهم من قال: يا بني، هذا هو الطريق، اعمل، وكن رجلاً، واصدق الله تعالى إلا الأستاذ المجذوب، وكلمة بسيطة من أبي بكر، وأما الباقي فماذا أقول لك، خذ مثالاً، قابلني الأستاذ (...) في آخر يوم من أيام الاختبار، فسلمت عليه، ثم قال لي بلهجة عجيبة: إنك قابلتني مرتين، ولم تسلم عليَّ، وأنا أحاول السلام عليك، وأنت تذهب هنا وهناك، فحلفت له بالله إنني لم أفعله، إن كنت فعلت ذلك فعن غير قصد، وإن كان شيء من ذلك فهو بدون شعور مني، ولكنه لم يقتنع بهذا القسم الذي أكدته ثلاثاً أو أربعاً، لما أرى من كثرة إصراره على ذلك، ثم مضى يفلسف ذلك بقوله: إنك تفعل ذلك لأني لم أزركم في السجن، وأنا والله، ولو كان ابني عبدالله في السجن لما ذهبت إليه، ثم قلت في نفسي: سبحان الله، والله ما حملت في نفسي على شخص لم يزرنا، ولم أجد داعياً لذلك مطلقاً، وتركته غير مصدق حتى بأيماني المغلظة، وأحمد الله إذ لم تشاهدوا مثل هذا، بل سافرتم، دون هذه المواقف المؤلمة.

ثم ماذا خذ مثلاً آخر أشدّ إيلاماً من سابقه، تأخرت ليلة عند الأخ أحمد صالح في الجامعة – هذا الأخ الحبيب – جزاه الله خيراً، لا أدري ما أقول، لقد أصبح لهذا الشخص الكريم إجلال في نفسي، ومكان في قلبي عظيم، إنه مثال عجيب للأخوة والتضحية في سبيل الله، وفقه الله وأعانه، نعم، وبعد أن صلينا المغرب مر بنا الأستاذ رمضان أبو العز والأستاذ (....) وسلّما علينا، وجاء في كلام الأستاذ رمضان ذكر كلمة إخوان، لا أدري بأي مناسبة وكان يقول: استعن بالإخوان في بيع المذكرات، أو شيئاً من ذلك، فإذا بالأستاذ (....) يقول: لا تقل «إخوان» وإلا قبضوا عليك، أو كلمة نحو ذلك. فقلت في نفسي: سبحان الله، أبلغ الجبن بالناس هذا المبلغ، ومضيت وأنا أتعجب كل العجب.

This is trial version
www.adultpdf.com

المهم مضى الاختبار والحمد لله بخير، وفي اليوم الأخير دعا الأستاذ البنا بعض الطلبة السودانيين وغيرهم للغداء مع الأستاذ العبودي وعمر محمد، وذهبت معه إلى منزله، الذي شاهدته لأول مرة في تلك اللحظة، وكنت لم أفطر بعد، واستحييت في أن أطلب طعام الإفطار، فنمت على ظهري، وبيدي كتاب الربا للأستاذ المودودي، الذي اشتريته من عبدالعزيز أسعد في اليوم نفسه مع مجموعة صغيرة من الرسائل، ومع ذكر عبدالعزيز أحبّ أن أقول: إن هذا الرجل شهم للغاية، نِعْم الشاب هو، أصلحه الله، وجعل منه رجلاً حاملاً لدعوته، داعياً إليه، لقد أثبت في أيامي الأخيرة رجولة عجيبة وتفانياً مطلقاً.

ولكن ما كادت تأتي الساعة الرابعة قبل الظهر حتى كان عمي يطرق الباب علينا، وقال: تعال، فإن الكفيل قد أرسلوا له جنداً وأودعوه السجن، نسيت أن أقول لك: إنه كفلني رجل لم أعرفه بتاتاً من المدينة، هذا الرجل يسمى عبدالعزيز العقل، قد بكى كثيراً من أجلي دون سابق معرفة، ولقد كانت ظروف كفالته لي ظروفاً عجيبة، سأتركها الآن، حتى لا يطول بنا الحديث.

وودعت الأستاذ البنا، وذهبت مع العم حيث جمعت أغراضي على عجل، وودعت الوالدة والأهل، وذهبت إلى السجن. [أخي عمر: لقد حان الآن وقت صلاة المغرب، ولقد جلست لهذه الرسالة منذ صلاة العصر، وأستميحك الآن عذراً إلى إكمالها إن شاء الله].

هذا ما وجدته من رسالة الشيخ عبدالرحمن، وقد ضاع مني بقيتها، وأذكر أن تلك البقية بمقدار ما سبق من الرسالة.

المطلب التاسع
نظرة في تجربة السجن

مكثت في السجن بضع شهور، وكان دخول السجن تجربة جديدة بالنسبة لي، وقد وقعت لي وأنا في مطلع الشباب، وكان معي في السجن عدد من الدعاة،

This is trial version
www.adultpdf.com

بعضهم أعرفهم، وبعضهم تعرفت عليه في ذلك السجن، وضم السجن عدداً من الأخيار، كل جرمهم أنهم كانوا موجودين في المكان وقت وقوع الحادث.

لم يكن في سجني ما يخجلني، ولكنه قلب حياتي، فقد حصرني في بقعة من الأرض لا أستطيع مغادرتها، وأنا الذي لم تكن المدينة كلها تسع حركتي، وقطعني السجن عن أهلي وأولادي، وصرت إلى حال لا أدري أين أكون غداً فيها، وتكشف لي في السجن بعض الذين كنا نظنهم كباراً فإذا هم صغار، صغار في معاناتهم وتطلعاتهم، وطريقة حياتهم، ورأيت شباباً صغاراً دخلوا السجن معنا فأقبلوا على الله والصلاة وحفظ القرآن بعيداً عن المراء، واتباع الأهواء، وأضرَّ بنا حبسنا في ذلك المكان، وبدأ الذين حولنا يخرجون شيئاً فشيئاً حتى لم يبقَ في السجن إلا أربعة أنا خامسهم.

والذي يدخل السجن إن لم يتوجه إلى عبادة ربه، ويكثر من الدعاء والذكر والاستغفار والصلاة وقراءة القرآن ضاق صدره، وكثرت همومه، ومن أكثر من عبادة الله والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن كان السجن له سياحة.

لقد كان صدرنا يضيق في بعض الأحيان، وكنا نألم كثيراً لما أصابنا، وخاصة من أولئك الذين لم يفوا بعهودهم معنا، فكانوا سبباً في دخولنا السجن، ولكن إيماننا بقدر الله النافذ خفف عنا، فهذا المصاب وأشكاله مكتوب في لوح القدر قبل أن يخلق الله الخلق بخمسين ألف سنة، وصدق الله إذ يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

ومضت أيام السجن ثقيلة ثقيلة، كان التحقيق معنا يسير في وجهة غير مرضية، فالإشاعات التي كانت تحيط بنا قبل السجن، انتقلت إلى المحققين، وأصبحت حقائق عندهم، ودونت على الورق، وعوملنا على أساسها، ولم نستطع

This is trial version
www.adultpdf.com

أن نفصح عن دور الذين خانوا عهودنا، فأظهروا الموافقة على ترك الإنكار باليد، ثم عملوا على الإعداد له وممارسته.

وكانت تحدث حوارات في داخل السجن فيما بيننا، ولكن كان بعضها يؤدي إلى غضب، ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

وكانت لنا فقرة يومية ممتعة، إذ كان الشيخ عبدالرحمن يرفع نفسه حتى يصل إلى طاقة في غرفة السجن، ثم يكور نفسه في تلك الطاقة، ويبدأ يحدثنا عما يراه عبر هذه الطاقة، فهذا رجل قصير ضخم يحمل ملفاً يمر من الطرقة، وذلك موظف صغير يمضي مسرعاً، وهنا رجل، ويقطع كلامه ليخبرنا بأنه بصق، ويمضي ربع ساعة أو عشر دقائق يصف لنا ما يراه، ثم يعود مرهقاً، فالجلسة في تلك الطاقة صعبة ومتعبة.

وأنا اليوم بعد أن مضى على الخروج من المدينة وسجنها أكثر من أربعين سنة أسأل نفسي أيهما أفيد لي، هذا الذي جرى، وانتقالي عن المدينة إلى غيرها أفضل؟ أم بقائي في المدينة أفضل.

لا شك أن السجن كان مؤلماً، والرحيل كان أكثر إيلاماً، خاص وأن الرحيل كان عن المدينة المنورة التي ملأت عليّ قلبي، وأحببتها حباً شديداً، ولكني أجزم اليوم أنه كان في رحيلنا خير كبير، ولو ذهبت أدرسه وأتبينه لطال بنا الحديث، والله المستعان.

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبحث الرابع
العودة إلى الديار

فرج الله عني ومن معي، وخرجنا من السجن بعد أن مكثنا فيه ما يزيد على أربعة أشهر، وكان خروجنا فرجاً من رب العباد، والحمد لله الذي أنعم علينا بالخروج، وصدق الشاعر حيث يقول:

ولـربّ نازلـة يـضيق بهـا الفتـى ... ذرعـاً وعنـد الله منهـا المخـرج
ضـاقت فلـما استحكمت حلقاتهـا ... فرجـت وكنـت أظنهـا لا تفـرج

خرجت من السجن إلى مطار المدينة مسافراً إلى عمان، وهناك التقيت بأسرتي، ووجدت أخي محمداً في المطار لتوديعنا، كما وجدت فضيلة الشيخ محمد المجذوب رحمه الله تعالى هناك، وقد واسانا بلسان طلق، وأخرج من جيبه ورقة صغيرة سطر فيها اثني عشر بيتاً، وقد أعطانيها بعد أن قرأها بنفسه، وعنون لها بكلمة واحدة: «وداع» وقال فيها:

نـودعكم والقلـبُ يَعْـصِرُه الأسـى ... ولـيس لنـا حَـوْلٌ سـوى الزفـراتِ
ووالله لـولا رادعُ الـصبرِ والحيـا ... شُـغِلنا عـن الألفـاظِ بـالعَبراتِ
ولا غَـرْوَ أن نبكـي لِبُعْـدِ أحبـةٍ ... وجـدنا بهـم في الحـق خـيرَ أُسـاةِ
صَـحبناهُمُ حينـاً فكـانوا عزاءَنـا ... إذا فاضـت الأيـامُ بالنكبـاتِ
ويُقْـصَوْن عنّـا فجـأةً فكأنّنـا ... أنامـلُ كَـفٍّ عوجِلَـتْ بِـشَتاتِ
وأوجـعُ مـا في محنـةِ اليـوم أنّنـا ... نـرى أبريـاءً عوقبـوا كجنـاةِ
على حينَ لا يخشى أولـو الإثـم ناقـداً ... ولا يرقـب الأشرارُ طَيْـفَ قـذاةِ
فللـه عينـا (دِعبـلٍ) لـو رأى الـذي ... يُعانيـه أهـلُ الحـق مـن كُرُبـاتِ
لعـاوَدَه المـاضي فعـادَ مـردِّداً ... بليـغَ الأسـى في أبلـغ النفثـاتِ:
(نـساءُ زيـادٍ في القـصورِ مَـصونةٌ ... وآلُ رسـولِ الله في الفلـوات!)

This is trial version
www.adultpdf.com

عـــلى أن في الأحـــداث لله حِكْمـــةً تفجّـــرُ أنـــوراً مـــن الظُلـــماتِ
فـــإن تعْظُـــم البِلـــوى فَرُبَّـــةَ شِـــدةٍ تَكَـــشَّفُ عـــن فـــيضٍ مـــن الرحمـــاتِ

واليوم وأنا أفكر في رحيلنا عن المدينة، وعما جرى لنا بعد ذلك أذكر كثيراً من الرحمات التي أفاضها الله علينا، فلله الحمد، وله الثناء الحسن.

وحطت بنا الطائرة في مطار عمان الدولي، ولم أستلم جواز سفري، وأخبرت بأني سأستلمه بعد أن أحل في قريتي، وأذكر أنه قد جاءني طلب للتوجه إلى مدينة نابلس بعد وصولي للقرية بأيام، ولم يستغرق الحديث معي إلا بضع دقائق، ليكتشف المحقق أن ما نسب إليّ كذب، فالمحققون في بلادنا على علم واطلاع على حزب التحرير ومبادئه، فلما رآني أنكر الانتساب إلى هذا الحزب صدقني، لأنه يعلم أن الحزب يوجب على أتباعه أن يجهروا بانتسابهم إلى الحزب، ولو ذاقوا العذاب بسبب ذلك.

عدت إلى أرض الوطن، ووسعتني وزوجتي وابناي سليمان وسفيان دار والدي، وأخلدت إلى الراحة بضعة أيام، ثم أخذت استكشف إمكان عملي في إحدى الدوائر التي تقبل أمثالي، وقد كنت أتممت الدراسة في كلية الشريعة بالرياض، وأصبحت حاملاً لإجازتها.

وأول أمر رجوت الحصول عليه هو الإذن بالخطابة والتدريس في المساجد، وذهبت إلى دائرة الأوقاف في مدينة نابلس، وتعرفت على القائم عليها في ذلك الوقت، وأخبرته بمرادي منه، فتريث ريثما يعلم أني أستحق الإذن الذي سيمنحني إياه، وقد مررت عليه يوماً فوجدت في مكتبه شيخاً معمماً، يبدو عليه أنه من أهل العلم، فبادر إلى تعريفه عليّ، وعرفني بالشيخ فإذا هو الشيخ عبدالحميد السائح رحمه الله تعالى، فقال لي لما سمع باسمي: كنت في المدينة المنورة، وعلمت أن رجلاً من دار الأشقر معتقل هناك، فابتسمت، وقلت له سريعاً من غير تلجلج: أنا هو، فقال متعجباً: أنت هو؟ وأنكر عليّ فعلي، فقلت له: يا فضيلة الشيخ لقد دخل

This is trial version
www.adultpdf.com

نبي الله يوسف عليه السلام السجن مظلوماً، وقصصت عليه قصتي باختصار، فقال: وماذا تريد الآن، فأخبرته بترددي على هذا المكتب رجاء أن أحصل على إذن يسمح لي بالخطابة في المساجد، فقال لي: أنا أعطيك ما هو أفضل من ذلك، تعال عندي إلى محكمة الاستئناف في القدس بعد أيام، وسأُعينك واعظ منطقة، تقوم بالوعظ في قُراها، وسيكون راتبك أكثر من راتب الأستاذ في وزارة المعارف، فمرتب الأستاذ في ذلك الوقت (٣٨) ديناراً، ومرتب هذه الوظيفة التي أعرضها عليك (٤٣) ديناراً.

فقلت له: يا سماحة الشيخ، إن قبلت هذه الوظيفة فلن أستطيع دخول المدارس للتدريس فيها، أما إذا دخلت إلى وزارة المعارف فسأدرس للطلاب دينهم، وفي الوقت نفسه يمكنني أن أدخل المساجد للتدريس فيها، فأجمع بين الحسنيين، ورجوته أن يسعى إلى تعييني في وزارة المعارف، فأبى كل الإباء، وطلب مني التوجه إليه في القدس في اليوم الذي أقتنع فيه بالعمل في الوظيفة التي حددها، وسافرت إلى عمان، وتقدمت هناك بطلب للحصول على وظيفة في وزارة التربية، وقابلت في ذلك الوقت الشاعر الداعية يوسف العظم، واطّلع على قصتي، وقَبِل بتعييني في مدارس الأقصى التي يقوم عليها بأجر يفوق راتب وزارة المعارف بخمسة دنانير.

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

This is trial version
www.adultpdf.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبحث الخامس

الرحيل إلى الكويت

وقد بدا لي في ذلك الوقت أن أتوجه إلى دولة الكويت، وقد كان قاصد الكويت لا يحتاج إلى تأشيرة في تلك الأيام، وفي الكويت إحدى شقيقاتي متزوجة من ابن عم لي، وفي الكويت بعض أولاد عمي، وفي الكويت حل أخي الشيخ عبدالرحمن، فقلت: إن وجدت هناك عملاً مناسباً، وإلا عدت أدراجي للعمل في بلادي.

وبعد أيام ركبت باصاً متوجهاً إلى الكويت، وعندما وصلت الحدود الأردنية، صعد الباص موظف شاب، وطلب مني - وشاباً آخر - النزول والحضور إلى مكتبه، وآلمني ذلك كثيراً، فلو أنه أنزل كل الراكبين أو نصفهم أو ثلثهم لما تألمت، أما أن يختارني دون غيري فإنه وضع مؤلم، ولم أكد أدخل مكتبه حتى أخذته بحة شديدة، كادت روحه تخرج بسببها، وكان في المكتب موظف آخر، فقال له: لقد دعا عليك هذا الشيخ، أما وجدت في الباص كله إلا هو لتنزله، فصرفني من عنده، فانصرفت حامداً الله على نعمائه.

وقد لاحظت أن كثيراً من ركاب الباص لا يصلون، وكلمت بعضهم، فقالوا: إذا وصلنا الكويت صلينا كل ما فاتنا من صلوات، فبينت لهم خطأ هذا التصرف، وأنه لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها، وكل ما يجوز لهم جمع الصلاة وقصرها في السفر.

وعندما وصلت الكويت أعطيت عنوان شقيقتي لسائق طلبت منه أن يوصلني، فما أخطأ المنزل الذي أقصده، ومكثت عندهم من بعد ظهر ذلك اليوم إلى عصر اليوم التالي.

This is trial version
www.adultpdf.com

المطلب الأول
الالتقاء بالأخ عبدالرحمن والالتحاق بوزارة التربية مدرساً

في اليوم التالي انطلقت إلى العنوان الذي يقيم فيه الشيخ عبدالرحمن، فقد كان إماماً في مسجد في منطقة الشرق، وقد كان الشيخ عبدالرحمن أثناء وجودنا في السجن، رأى نفسه في مسجد وصفه لنا، فلما أقبلت على أحد المساجد في الشرق، قلت لمرافقي: ليس هذا هو المسجد الذي وصفه لي عبدالرحمن في رؤيا السجن، فتحول إلى مسجد آخر، فقلت: نعم، هذا هو المسجد.

وجدت الشيخ عبدالرحمن في ذلك المسجد، فتعانقنا، ورحب بي ترحيباً كريماً، ولم يكن يظن أن لقاءنا سيكون سريعاً هكذا، وأخبرني أنه يعمل الآن في المسجد، وأن وكيل وزارة التربية قد وافق على تعيينه مدرساً في مدرسة إعدادية بعد توسط أحد رجالات الكويت الصالحين له عنده، وقد ذهبنا إلى ذلك الرجل برفقة بعض الإخوة طالبين منه التوسط لي في التعيين في وزارة التربية، فأعطاني خطاباً لوكيل الوزارة طالباً منه ذلك، فلما سلمته الطلب مشفوعاً بذلك الخطاب، كتب عليه يعين مدرساً، فثار بعض أصحاب المناصب ثورة فيها عصبية، فقد كانت الوظائف قصراً على بعض أساتذة دولة عربية بعينها، فكتب لوكيل الوزارة أن شهادتي غير معروفة، فكتب إليه بلزوم تعييني، ثم ينظر في معادلة شهادتي فيما بعد.

وقد مضى عدة أشهر حتى تمت معادلة شهادتي، واستحققت رواتبي المتجمعة في الوزارة، وقد كنت ألبس في ذلك الوقت في المدرسة ثيابي العربية، وكان الأساتذة جميعاً يلبسون البذلة، فلما ذهبت إلى الوزارة أنا وأستاذ آخر في المدرسة لاستلام الرواتب، لم نجد الموظف المختص هناك، فكلّمه الآذن بالهاتف، وقال له: إن أستاذاً وآذن مدرسة المتنبي موجودين لاستلام رواتبهم، فلما عاد، ونظر في الكشوف وجد أننا مدرسان، والسبب الذي جعله يظنني آذناً الملابس التي كنت ألبسها، فلم يكن من عادة المدرسين لبس الثياب العربية.

This is trial version
www.adultpdf.com

وقد نبهني مدير المدرسة بلطف إلى أنه ينبغي أن ألبس البذلة، فلم ألتفت إليه، وخرجت يوماً من فصل دراسي، فوجدت بالباب مدير المدرسة صحبة وزير التربية، فعرفه المدير بي، فتعجب من لباسي، وكان هو يلبس اللباس العربي، وتفرقنا، ثم جاءني مدير المدرسة في اليوم التالي قائلاً: أما قلت لك: هذا الوزير يقول: الأحسن أن يلبس مثل زملائه، فقلت: يقول: الأحسن، وهذا لا يفيد الوجوب، فمضى عني، وهو يقول: أنت أدرى بحالك.

وأخذ المدرسون الكويتيون يلبسون اللباس العربي الوطني، وأصبح اللباس العربي غير مستنكر، وبقيت في لباسي إلى اليوم، لم أغيره لا في إقامة ولا سفر.

لقد يسّر الله لي الالتحاق بوزارة التربية بغير جهد ولا عناء، وقد رأيت بعض من أعرفه من الأساتذة الذين يحملون شهادة الأزهر قد جاء إلى الكويت، ولديه خبرة طويلة، وقد احتاج أن يعود إلى الكويت في ذلك الصيف عدة مرات حتى تمت الموافقة على تعيينه، لقد دخلت مدينة الكويت في يوم ١٩٦٥/٨/٢٧، وفي ١٩٦٥/٩/١٥ ابتدأت التدريس في مدرسة المتنبي في منطقة الشرق، واستأجرت أنا والشيخ عبدالرحمن شقة واسعة تقع بين مدرستينا، بقينا فيها مدة سنتين، ثم انتقلنا إلى عمارة في منطقة حولي استأجر كل واحد منا فيها شقة.

وبعد استقراري في الكويت أحضر عبدالرحمن أسرته، وكذلك أنا أحضرت أسرتي. وقد تعرفت في الكويت على عدد كبير من المدرسين كانوا من مصر ولبنان وسوريا وفلسطين، وكان الفلسطينيون كثيرين في الكويت، بحيث لا يشعر الفلسطيني بالغربة وهو في تلك الديار، وكان في الكويت عدد كبير من قريتي، وبعضهم كان من أقاربي.

المطلب الثاني
عملي الدعوي في الكويت

كانت الكويت من البلاد العربية القليلة التي تنعم بشيء من الحرية أكثر مما يتمتع به غيرها من البلاد، وأقيم فيها برلمان كان أعضاؤه يصولون ويجولون فيما

This is trial version
www.adultpdf.com

يتناولونه من موضوعات، ولكن الصوت الإسلامي والعمل الإسلامي كان مفقوداً أو ضعيفاً، ومع وجود عدد من القيادات الإسلامية في تلك الديار، فإن القرار عندها كان محسوماً، فلم تكن تتحرك بالعمل هناك، وكان عملها يدور على النفس فحسب.

فلما نزلنا تلك الديار أخذنا إلى جانب التدريس في المدارس، نعطي الدروس في المساجد، وكان عدد زوار المساجد قليلاً في ذلك الوقت، وأذكر مرة أنني صليت العصر في أحد المساجد في منطقة حولي، فوجدت المصلين كلهم من كبار السن، ولم يكونوا يتجاوزون السبعة، فقمت بعد أن سلَّم الإمام، فظنوا أني أريد أن أخطب فيهم، فقام بعضهم لينصرف، فقلت لهم: لا أريد الخطبة فيكم، ولكن أريد أن أسألكم، فجلس من كان يريد القيام، فقلت لهم: هل لكم أزواج وأولاد؟ فعجبوا، وقالوا: نعم، فقلت: أين أولادكم؟ ولِمَ لم تصحبوهم إلى الصلاة؟ وكانت الإجابة غير واضحة، وغير مقنعة.

وانطلقت أنا والشيخ عبدالرحمن نعمل في مسارين: الأول: في تعليم الناشئة الإسلام في المدارس، والثاني: التدريس في المساجد.

ولم تكن لنا خلفية حزبية تأمرنا وتنهانا، ولم يكن في نفوسنا ما يمنعنا من العمل، وأتانا بعض القيادات الإسلامية تناقشنا تجاه ما نقوم به من عمل، وطلبت منا التوقف عن العمل في المساجد، فأبينا كل الإباء، خاصة وأننا قد حصلنا على إذن من وزارة الأوقاف للتدريس، وكانت تمنح كل واحد منا في رمضان سيارة تقلنا إلى بعض المساجد البعيدة عن المنزل لندرس فيها.

وكان المصلون يكثرون شيئاً ما في رمضان، ويقبلون على المساجد، وقد عرض عليّ في المسجد الذي كنت أدرس فيه بعض المال، فأعلمتهم أنني أعمل مدرساً، ويأتيني من المال ما يكفيني ويكفي أسرتي، وهذا المال الذي يعرضونه عليّ لا يحل لي، فكانوا يقولون: لقد كان من يأتي قبلك للتدريس يقبل المال الذي نعرضه عليه.

This is trial version
www.adultpdf.com

وتطور عملي في المدرسة التي كنت أدرس فيها، فقد كنت أقوم على النشاط الديني في المدرسة، وكنت أجتمع بالطلبة الراغبين بهذا النشاط في يوم الخميس، ولم أكتفِ بالدروس في تلك اللقاءات، بل تحولت تلك اللقاءات إلى برامج متعددة، فقد هديت إلى أن المطلوب هو صبغ الطلبة بالإسلام في لقائهم، وطعامهم وشرابهم ولعبهم، وأن يتحولوا إلى دعوة آبائهم وإخوانهم وجيرانهم وأصدقائهم إلى الله، وقد توجنا هذا العمل فيما بعد بالرحلات المدرسية إلى المناطق الخالية حول مدينة الكويت.

وحولنا المسجد القريب من المنزل في «حولي» إلى خلية عمل، نعمل فيه على تجميع الأولاد من سنّ السابعة، وكنا نلقي الدروس فيه، وفي غيره من المساجد، ولم يحدث شيء مما توقعه بعض القيادات الإسلامية، وبدأت تظهر وجوه شابة هنا وهناك في مساجد الكويت، وأثر ذلك في دفع بعض القيادات الإسلامية في الكويت إلى التحرك بالإسلام، وجمع الشباب عليه، وتربيتهم التربية الإسلامية الطيبة، وكان الشباب الذين يدرسون علينا في دروسنا هم عماد الحركة التي قام عليها العمل بالإسلام في أغلب الأحيان.

وتمخض العمل الإسلامي في الكويت إلى التشكل في عدة اتجاهات، الأول: العمل الإخواني، وكان أغزره العمل الكويتي، ثم العمل الفلسطيني، ولهذا العمل امتداد في الجالية المصرية، ولكنه لم يمتد إلى قطاع الشباب فيها.

والثاني: العمل السلفي الذي رعاه الشيخ عبدالرحمن حتى تجذّر وتأصل، وهناك توجهات أخرى، لم يكن لنا كبير اتصال بها.

لم نكن أنا وعبدالرحمن نريد تكوين عمل خاص بنا، ولم يكن يهمنا أين تذهب ثمار عملنا، وكل ما أردناه هو تجذير الإسلام في أرض الكويت، وتوسع عملنا عندما انتقلنا من التدريس في المدارس الإعدادية إلى التدريس في المرحلة الثانوية، وكان النشاط المدرسي قد نما في عقولنا وتطور إلى صور مبدعة متقدمة، وأصبح يضم كثيراً من الطلبة المتميزين، من الكويتيين وغير الكويتيين، وأصبح دوحة صغيرة، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح دوحة كبيرة، يستظل بها أناس كثيرون.

This is trial version
www.adultpdf.com